جـــامـــعة قـــــاصدي مربـــــاح –ورقـــلة –

كـــلـيـــة الـــعلوم الإجتماعـــية

قسم الفلسفة

تخصص: تاريخ الفلسفة

مـــذكـــــــرة بـــــــعنـــــــوان:

التحرر عند هربرت ماركيوز

مذكرة مكملة لنيل شهادة المـــاستر في تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبين:

بدراني مريم

شتيوي مفتاح

إشراف الأستاذ:

أ/بن قويدر عاشور

لجنة المناقشة:

أ / كراش براهيم ..... رئيسا

أ/ بن قويدر عاشور ..... مشرفا ومقررا

أ / برابح عمر ..... مناقشا

السنة الجامعية:2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

نشكر الله تعالى على توفيقه لنا لإنجاز هذا البحث.

يسعنا ويشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساهم معنا في إنجاز هذا العمل، سواء من قريب أو من بعيد.

ونخص بالذكر الأستاذ عاشور بن قويدر المشرف على بحثنا والذي لم يبخل بتوجيهاته ونصائحه لنا ، ولم يتوانى في تقديم أرائه السائبة لنا حتى تم إنجاز هذا العمل.

وكذا الأساتذة الذين ساعدونا كثيرا في بحثنا

وتحياتنا إلى كل أساتذة وطلبة وعمال قسم العلوم الانسانية ، فرع فلسفة بجامعة ورقلة.

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من قال فيها الصادق الصديق الذي لا ينطق على الهواء.

"الجنة تحت أقدام الأمهات"إلى التي حملتني في بطنها و سهرت لأجلي ،

إلى التي باركتني بدعائها و سامحتني بحبها و حنانها الغالية

و العزيزة على قلبي دعيني انحني إمامك و اقبل جبينك...أمي.

إلى الذي تعب لارتاح و كافح لأنال إلى صاحب القلب الأبيض

العرندس ...والدي.

الى زوجتي الغالية نصفي الاخر " كلثـــــــوم "

إلى أغلى كنز وهبه الله لي اخواني و أخواتي "فطيمة-ليلى-سعيدة-نضيرة-جهاد

فارس-عبد المالك-سماح "

إلى أبناء اختي " علاء الدين-العيد-حسام الدين "

إلى أعمامي و أخوالي كل باسمه و ابن عمتي المرحوم " ابراهيم "

الذي اسأل الله أن يرحمه يسكنه الجنة .

إلى أستاذي المحترم " بن قويدر عاشور " الذي ساعدني كثيرا في

بحثي هذا-شكرا جزيلا-

إلى رفقاء دربي و طفولتي-الشلة "جمال-محمد-لزهر-فارس-خالد-عبد العزيز

السعيد-عبد المالك-عبد الرحمن-خليفة " .

إلى كل من اعرفهم ولم أذكرهم

إلى أساتذة و طلبة و عمال قسم العلوم الانسانية

خاصة فرع الفلسفة بجامعة ورقلة

إلى من جمعتني بهم لحظة صدق ... و فرقتني

بهم لحظة صدق أهدي ثمرة جهدي و تعبي

مفتـــــاح شـــبيـــــــرة

إهداء

إلى من سكنت في بطنها تسعة أشهر وحملتني وهنا على وهن ....

تنام العيون ليلا ولكن عيونها فقط صاحية لأجلي .....

وكيف لي أن أصفها وربي جعل الجنة تحت أقدامها .....

إليك أمي

إلى الإنسان الصادق...إلى الشمعة التي كانت تحترق من أجل أن تضيئ دربي .تقتلني الحيرة لأجل الجميل الذي لا استطيع رد الربع منه...تتذكر العطاء وتنسى الأخذ دائما .

إليك أبي

أطال الله في عمريكما

إلى مفاتيح أسراري أخواتي : نونة .فطيمة...صفية ..خديجة ..هجيرة.

إلى سندي في حياتي إخواني محمد وبلقاسم والجدات والخالات والأعمام والعمات وإلى إبن خالتي مصطفى وإبنة عمي زوليخة وإلى عائلتي الثانية بورقلة عائلة الحاج أحمد بوزيان وإلى من عشت معهن أروع ضحكاتي أعز صديقاتي حياة رندة وشهرة

وإلى كاتمة أسراري أم الخير وأولادها أنيس عصام و عبد الحميد .

إلى رفيقتي فالغرفة سهيلة بوعجامة أرجو لها حياة سعيدة .

إليكم جميعا أهدي هذا العمل .

مقدمة

مقدمـــــــــة

إن جميع المجتمعات تنشد الحرية وتتطلع لغد افضل يتوق اليه الانسان ، لكن سرعان ما اصبحت هذه الحرية زيفا وخداعا ، نظرا الى ما عرفته المجتمعات من تطور صناعي وتكنولوجي ، أضحى وسيلة للسيطرة والقمع ، وأن هذه الحرية لا يمكن ان تتجسد في الواقع لأنها اتخذت معنى مخالفا لها ، حيث المجتمعات الصناعية هي التي رسمت نمط جديد للحياة وجعلت الانسان يعيش بعدا واحدا هو البعد الاجتماعي وفق نظم إشتراكية او رأسمالية ، واختزلت باقي أبعاده الاخرى ليصبح أداة وشيئا يخضع لسيطرة الظروف الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية و الثقافية ، وفقد النقد بعده وطاقته الإبداعية لتغيير واقع المجتمع المستبد والظالم .

لقد وجدنا في فلسفة هربرتماركيوز الناقدة والمتطلعة للتحرر، أفكارا تعبر عن أحلامنا ومشاكلنا الراهنة ، ما دفعنا لاختيار موضوع التحرر ، وحاجتنا الماسة لتحرير ذاتنا من كل القيود الإجتماعية والسياسية والإقتصادية ، فمهما حاولنا التحرر من سيطرتها تبقى مفروضة علينا وتشكل بالنسبة لنا حواجز وعوائق أمام رغباتنا الإبداعية ، أما الدوافع الموضوعية تتمثل في النتائج السلبية التي خلفتها التكنولوجيا المعاصرة على البشرية بالرغم من أنها ساعدت على رفاهية الإنسان ولكنها أساءت اليه أكثر مما أحسنتّ ، ونظرا الى ما يعانيه الانسان من قمع في مجتمعه أصبح يعيش في صراع دائم بين ما يريد وما هو مفروض عليه أي بين رغبته في التحرر .

وهذه الدوافع هي التي بلورت لنا الاشكالية التي صغناها كالآتي :

كيف يتحدد مفهوم التحرر من المجتمع الصناعي في فلسفة هربرتماركيوز؟ .

وعالجنا أسئلة فرعية تحللها وهي : من هو ماركيوز ، وما هو فكره ،

وكيف حلل المجتمع المعاصر ؟. ما رؤيته للثورة، وسبل التحرر ؟ . وما هي يوتوبيا التحرر لديه ؟ .

ولتحليل الاشكالية ارتأينا تقسيم البحث هذا الى الفصول التالية :

حيث ورد الفصل الأول بعنوان هربرتماركيوز والمجتمع المعاصر و اشتمل على مبحثين فالأول بعنوان حياة ماركيوز و مدرسة فرانكفورت ، تناولنا فيه السيرة الذاتية لماركيوز وفكره والى انتمائه لمدرسة فرانكفورت ، اما المبحث الثاني فعنوانه تحليل ونقد ماركيوز للمجتمع المعاصر حيث تناولنا فيه مظاهر السيطرة على الانسان المعاصر و الأسس التي ترتكز عليها الحضارة.

أما الفصل الثاني فعنوانه الثورة سبيل التحرر ، تضمن مبحثين تمثل الأول في نقد ماركيوز للثورة التقليدية حيث عرض ماركيوز النظرية الماركسية بالتحليل قصد نقدها للخروج بنظرية جديدة للثورة ، أما الثاني حمل عنوان الاستراتيجية الجديدة للثورة وقوى التحرر ، تحدثنا فيه على بناء ماركيوز لنظرية جديدة للثورة على أنقاض النظرية التقليدية ، وتحديد قوى التحرر .

أما الفصل الثالث والأخير أسميناه بيوتوبيا التحرر عند ماركيوز ، يحتوي على ثلاثة مباحث فالأول عنوانه التحرر بالتكنولوجيا والفن والذي ركزنا اهتمامنا فيه على طرح ماركيوز للإمكانيات المتضمنة في العقلانية التكنولوجية التي بوسعها

تحقيق التحرر للإنسان بتوجيه التكنولوجيا والفن لخدمة الانسان وتحقيق سعادته

وحريته ، أما المبحث الثاني حمل عنوان حضارة الإيروس و الثاناتوس عند فيلسوفنا حيث تناولنا فيه أصل القمع عند الإنسان واصل الحضارة القمعية ودور الخيال في تحرر الانسان بتجاوزه للواقع ، أما المبحث الثالث والأخير تَضمن نقد وتقييم لفكر هربرتماركيوز حيث ركزنا فيه على تقييم نظريته النقدية ، ورؤيته الجديدة للثورة ، ونقد آرائه حول التحرر .

ولإنجازنا لهذا البحث إتبعنا المنهج التاريخي عندما تناولنا السيرة الذاتية لحياة ماركيوز وفكره وانتمائه لمدرسة فرانكفورت ، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي والذي تمثل في وصف وضعية الإنسان المعاصر والنظم القمعية القائمة خاصة الإشتراكية و الرأسمالية والصورة اليوتوبية الخيالية للحضارة الجديدة للهروب من الظلم و الإستغلال ، و تحليل واقع المجتمع الصناعي المعاصر الذي تسبب في اغتراب الإنسان جراء القمع والسيطرة ، وتحليل أفكار ماركيوز حول الإستراتيجية الجديدة للثورة والقوى التي تمكن الإنسان من التحرر كالتكنولوجيا والفن والخيال وتحيل أفكاره حول الحضارة الجديدة الخيالية ، وأخيرا المنهج النقدي والمتمثل في كل الإنتقادات الموجهة لفكر ماركيوز حول الثورة و التحرر .

هذا ولا يفوتنا الاشارة الى الصعوبات المتعددة التي واجهتنا اثناء انجازنا لهذا العمل المتواضع الذي نرجو ان يكون في المستوى المطلوب ، حيث واجهتنا صعوبات في تجميع المادة العلمية وقلة المصادر والمراجع المترجمة باللغة العربية ، ونقص الدراسات و البحوث الأكاديمية حول هذا الموضوع بالرغم من ان فلسفة ماركيوز لها مكانة اساسية في الفكر النقدي الاجتماعي السياسي المعاصر ، اضافة الى اسلوبه الذي يتميز بالصعوبة و التعقيد والغموض احيانا،خاصة في تحديد افكاره البديلة التي لا يضع لها مبررات في اغلب الحالات، وكذا محاولته جمع شتات الفلسفات المتناقضة حيث صعب علينا تحديد مواقفه المتناقضة حولها وإطنابهوإطالته في تحليل افكاره .

وفي الاخير انهينا عملنا بخاتمة اشتملت على جملة النتائج التي توصلنا اليها اثناء اجابتنا على اشكالية البحث .

الفصل الأول

هربرت ماركيوز والمجتمع المعاصر

المبحث الأول :ماركيوز ومدرسة فرانكفورت

المبحث الثاني :تحليل ونقد ماركيوز للمجتمع المعاصر

المبحث الأول : ماركيوز ومدرسة فرانكفورت

من الجانب المنهجي في دراسة أفكار أي مفكر او فيلسوف هو البدء بالتعرف على سيرته الذاتية و تعلمه واهم أعماله ، وتأثره وتأثيره ، لذلك سنتطرق للحديث عن حياة هربرت ماركيوز للوقوف على أهم محطاتها ومعرفة مصادر فكره وآثاره ليتسنى لنا معرفة دوافع أفكاره ، وسنتناول بالتفصيل انتماء ماركيوز لمدرسة فرانكفورت وأهم أعماله بها .

المطلب الأول : حياة وفكر ماركيوز

ولد هربرتماركيوز عام 1898 في التاسع عشر من شهر جويلية ببرلين (ألمانيا)من عائلة ذات أصل يهودي ،عاش في الولايات المتحدة ودرس في جامعة براندايسالتي كان معظم أساتذتها من اليهود ، تتلمذ في جامعتي فرايبورغ وبرلين على يد الفيلسوف الوجودي هيدغر، وتحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة عام 1920اهتم بالجانب السياسي والذي تجلى في تعاطفه مع الاشتراكية بألمانيا ،إلاأنه انفصل عليها في عام 1919 [1]، وذلك بسبب معاناته من الحرب العالمية الأولى التي اشترك فيها كجندي ومأساته إثر انهيار اليسار الالماني ، ما جعله يتخذ مواقف اعتبرت كحاجز بين الايديولوجيات المتعارضة دون ان يجد ما يتعارض مع معتقداته السياسية الاصلية[2]، كما أعلن عن عدم إرتباطه بأي حزب وانزوى في قوقعة التأمل الفكري ، وعندما تولى النازيون حكم المانيا 1933 غادرماركيوز ألمانيا شأنه شأن غالبية اليهود خشية من مذابح النازية والفاشية[3]،وبدأ مرحلة جديدة منصبا على الفلسفة الإجتماعية والسياسية في سويسرا ، ثم رحل للولايات المتحدة الامريكية وتحصل على الجنسية واستقر بها ثم قام بتقديم نقدا عنيفا إليها وإلى الدول الاوروبية المتقدمة ،لكشف عيوبها لتوضيح سلبياتها وعيوبها مثل عيوب

---

[1]- عبد الباسط عبد المعطي ، عادل مختار الهواري، **في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع** (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر ، 1986م) ص 357 .

[2]- فؤاد زكريا ، **هربرتماركيوز**، ط 1(الإسكندرية : دار الوفاء للطباعة والنشر،2005) ص 7 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 7 .

النظم الاجتماعية الاخرى .ولقد قام بالتدريس بجامعة براندیس حتى عام 1967 وافته المنية عام 1979 ، حيث ملكت افكاره القلوب المضطهد وأصبح الأب الروحي لثوراتهم وحركاتهم التحررية في العالم[1] .

يقال أن الإنسان إبن بيئته ، ولذلك ففلسفة ماركيوز ماهي إلا انعكاسات لظروف تجمعت وكونت فكره الفلسفي حيث شهدت أوروبا الغربية والمجتمعات الغربية ما بين 1898 و1932 عدة مستجدات شملت كل الميادين، ففي المجال السياسي قامت الثورة البلشفية في روسيا 1917 والتي قلبت كل الاوضاع وغيرت كل المفاهيم النظرية والعلمية في أوروبا الشرقية وأثرت على الجانب الاقتصادي والاجتماعي

أما ثقافيا فقد تغير دور وسائل الإعلام حيث أصبحت وسيلة لتغليط الرأي العام بالإضافة الى تغيير الدول الرأسمالية في المجال التكنولوجي والتقدم العلمي من اجل السيطرة على العالم الثالث ، وبذلك قضت على كل محاولة للثورة[2]، هذا ما تأثر به ماركيوز حيث حاول وضع نظرية نقدية إجتماعية تفسر تطور المجتمعات المعاصر.

مصادر فكر ماركيوز:

لقد كانت فلسفة ماركيوز نتيجة مزيج من قراءات ونقد لمعظم الفلاسفة ، وبهذا تنوعت وتعددت كتاباته في تحليله للحضارة الانسانية ومفهومه للإنسان المعاصروللسعادة والحرية ، وهنا نشير الى تأثير كبار الفلاسفة على فكره منهم أستاذه هيدغر وهيجل وماركس ونيتشه واوغست كونت وسيغموند فرويد ، حيث أعاد ماركيوز تحليل وتفسير فلسفات وأفكار هؤلاء الفلاسفة كناقد ومؤول بأسلوبه الخاص ، وكانت أولى الفلسفات التي تأثر بها فلسفة أستاذه هيدغر[3]، والذي كان مشرفا عليه في رسالة الدكتوراه ، حيث أخذ منه ماركيوز فكرة المفهوم العلمي للتقنية التي تمكن الانسان من التحرر كما كان يأمل ماركيوزوأستاذه .

---

[1]- عبد الباسط عبد المعطي ،مرجع سابق،ص 28 .

[2]- قيس هادي أحمد ، **الانسان المعاصر عند هربرتماركيوز** ،ط1 (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980) ص 15-18.

[3]- المرجع نفسه ، ص19 .

لقد كان تأثر ماركيوز بهيجل واضحا في التمييز بين الفكر العادي والنقد الجدلي فالأول يتميز بالاستسلام والخضوع والتقبل كل شيء على أنه حقيقة من الوهلة الاولى ،أما الثاني فيهدف الى استفزاز الوعي ، كما ان الكفاح ضد الفكر العادي هو مقدمة للتأمل والتفلسف ، كما أثرت فكرة الاغتراب عند هيجل على ماركيوز متخذا إياها محورا رئيسيا لفلسفته ، فقيمة ماركيوز تكمن في محاولة بناء فلسفة تحرر الانسان المعاصر ، وتمكنه من تجاوز إغترابه ، باستناده الى العقل الذي إستوحاه من كتب هيجل الأولى مثل أصول فلسفة الحق ، ومن مفهوم الانسان الجديد المتطلع الى الافضل بواسطة الابداع العقلي[1] .

وبما أن الذات عند كارل ماركس هي الانسان الاجتماعي في علاقاته بفئات المجتمع وطبقاته ،أما الموضوع فهو الاشياء المحسوسة والمنتجات الادبية والفنية فإن نقطة البداية عنده –أي ماركس–تبدأ من الواقع المتعين فهو يربط بين تقدم الانسانية والعمل ،فاهتمامه بالقيم الاخلاقية العقلية التي تبحث عن العمل بغية الوصول إلى الانتاج الاوفر ، وهذا ما جعل ماركيوز يدرس النظرية الماركسية محاولا تفسيرها تفسيرا جديدا لفك قيود الانسان من الواقع والحضارة[2] .

كما أثرت على ماركيوزأفكار نيتشه الرافضة كليا للسلطة فهو يكره اي افتراض للسلطة عليه ، ولقد كان ماركيوز مثله إلى حد كبير حيث جعله يبعث روح الحياة في افكاره لا باستخلاصها من تجارب الاخرين بل بمواجهة مشاكلها ، فالفكرة قادرة على بعث الغضب وإحلال الثورة او الراحة والسرور[3] .

كما إهتمماركيوز بفكر فرويد وخاصة في الجانب الذي أغفله ماركس والذي إهتم بالتحرر الاقتصادي والاجتماعي متناسيا التحرر النفسي فمن خلال دراساته لفرويدحاول رسم معالم حضارة أخرى للإنسان المعاصر المتحرر ، مرتكزا على القيم الأخلاقية التي تسمح له بالتوزيع العادل لثروات المجتمع ، كإنسان جديد متعدد

[1]- قيس هادي أحمد ، مرجع سابق ، ص23 .
[2]- المرجع نفسه ، ص25 .
[3]- المرجع نفسه ، ص 30 .

الأبعاد خالي من المكبوتات[1]، كما اهتم بكتب فرويد وتأثر بها هذا ما يتجلى في كتابه "ايروس الحضارة " ، لكنه انطلق من كتاب الاستياء داخل الحضارة ليحدد فيه مبدأ المردود والقمع المفرط وضرورة القضاء عليهما[2] .

ومن اهم أعمال هربرتماركيوزمايلي:

1- العقل والثورة 1941 ، وهو عرض لفلسفة هيجل

2- إيروس الحضارة 1955 ، عبارة عن بحث فلسفي لأفكار فرويد

3- الماركسية السوفياتية 1958 ، عبارة عن تحليل نقدي للماركسية

4- الانسان ذو البعد الواحد 1964 ، عبارة عن دراسات فكرية للمجتمع الصناعي المتقدم ،والإنسان المعاصر في المجتمع الرأسمالي والاشتراكي .

5- نقد التسامح المطلق 1965 ، مع كتاب آخر وهو نقد التسامح القمعي ، حيث أبرز فيه امكانية التسامح بين الديمقراطيات الصناعية المعاصرة .

6- دراسات في المذاهب الرافضة 1968 ،إعتمد فيها على كتابات ماركس هيجل فرويد ، وعالج فيها الواقع المعاصر.

7- مقال عن التحرر1969 ، عبارة عن مرحلة تجاوز المفهوم الماركسي للثورة .

8- خمس محاضرات 1970 ، عبارة عن تحليل للسياسات القائمة وهي نهاية اليوتوبيا ، الحرية مسالة كبت ، المقاومة الراديكالية .

9- الثورة والثورة المضادة 1972 ، حيث ركز فيها على الثورة التيأصبحت داخل الرأسمالية .

10-دراسات في الفلسفة النقدية 1972 ، تحتوى على خمس مقالات كدراسات نقدية للمفاهيم والنظريات الاساسية في الفلسفة الاجتماعية والسياسية .

---

[1]- قيس هادي أحمد ، مرجع سابق ، ص33 .

[2]- عبد اللطيف عبادة ، **اجتماعية المعرفة الفلسفية** (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984)ص210.

11- مقالات الثلاثيات ، عبارة عن مقالات أطلق عليها اسم المذاهب الرافضة تضم ثمانية مقالات [1].

المطلب الثاني: انتماء ماركيوز لمدرسة فرانكفورت

أعتبر معهد فرانكفورت للأبحاث الاجتماعية الموطن الاصلي للمدرسة الفرانكفونية بحث أصدر في شهر سبتمبر 1922 بيانا يخص نشأة وميلاد هذا المعهد الجديد الذي ترتكز أهدافه على معرفة وفهم الحياة الاجتماعية والمشكلات السياسية كالممارسة الثورة والطبقية والممارسات الحربية ...

ومن أهم الموضوعات التي اهتمت بها المدرسة الفرانكفونية هي : المادية التاريخية والأساس الفلسفي للماركسية ، الاقتصاد السياسي ، مشكلات الاقتصاد المخطط مهام البروليتاريا، علم الاجتماع ، تاريخ المذاهب الاشتراكية[2] .

لقد عرف المعهد سنة 1932عدة تغيرات ومستجدات ، حيث شهد انضمامأحد الباحثين الجدد والذي سيكون له دور فعال في إثراء النظرية النقدية ألا وهو الفيلسوف هربرتماركيوز الذي سيكون الخبيرفي شؤون الفلسفة والنظرية السياسية التي يقوم عليها المعهد ، وهذه الفترة من أفكار ماركيوز كانت خاضعة للمناخ الفكري السائد في المعهد ، كان يتميز بالأفكار الماركسية لكنه لم يكن ملتزما بها فنشر دراسة بعنوان الفلسفة والنظرية النقدية عام 1937 وكتاب باللغة الانجليزية العقل والثورة 1942 وفي سنة 1955 أصدر كتابه ايروس الحضارة الذي حاول من خلاله أن يوضع ووجود اتجاه نقدي ، خفي لنزعتي التشاؤمية والمحافظة الواضحتين في فكر فرويد وهذا ماسماه الإتجاه الخفي في التحليل النفسي ، وفي عام 1958 أصدر الكتاب الماركسية السوفياتية حيث حلل التطورات الاساسية بالاتحاد السوفياتي .

---

[1]- قيس هادي أحمد ، مرجع سابق ، ص39-49 .

[2]- محمد حسن محمد ، **النظرية النقدية عند هربرتماركيوز** ، ط2 (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر 1993) ص100 .

أما العمل الاخر فهو دراسات حول سلطة الأسر وهو كتاب جمع بين هوركهايمروماركيوز وهو دراسة تحضيرية لدراسة أخرى ظهرت بعنوان الشخصية المتسلطة حيث أن الدراسة الاولى اهتمت بتحليل الاسس السيكولوجية للسلطة وقامت بتفسير ساهم في تصعيد التيار الفاشي وازدهاره في دول أوروبا [(1)].

[1]- محمد حسن محمد ، مرجع سابق ، ص106 .

المبحث الثاني : تحليل ونقد ماركيوز للمجتمع المعاصر

أراد ماركيوزأن يقدم تغييرا جذريا من أجل تشكيل مجتمع جديد للإنسان المعاصر ووجوده ضمن إمكانات واقعية،وكانت وسيلته في ذلك نقد كل ماهو قائم ثم رسم حضارة يغيب فيها شبح القمع ، وتزول معاناة الانسان فيتحرر من القيود التي خضع لها في ظل النظام المعاصر ، ولذلك شغل النقد معظم كتبه في نقد النظم بغض النظر عن اختلافاتها رأسمالية كانت او اشتراكية .

المطلب الاول : مظاهر السيطرة على الانسان المعاصر

أولا : السيطرة على وسائل الاعلام

لقد سيطرت النظم المعاصرة على وسائل الاعلام،وكانت الخطوة الاولى لتخذير الوعي لدى الفرد وحرمانه تحقيق ذاته، والتعبيرعنها،وخير وسيلة هي الصحافة والتيتخذر العقول بأفكار الدعاية كالإشهاراتالتي تؤثر على فكره بسهولة ، فاليوم أصبح التحكم في الفرد ممكنا بحيث تعتبر وسائل الاعلام شكلا من اشكال العبودية من دون اللجوء للعنف وذلك بالطرق التكنولوجية الحديثة والعلمية ,وبمساعدة بعض العلوم كالرياضيات ، علم النفس الصناعي ، التسويق والتي تدخل في اطار العلاقات الاجتماعية والاقتصادية لتحل محل العنف المرعب[1]، الذي تحقق بالتكنولوجيا والتقنية التي خلقت الانسجام بين الفرد ومتطلباته الضرورية في المجتمعوتم ذلك بأسلوب غير مباشر وغير ارهابي ، بل آلي وتلقائي[2]، فالتقدم الذي تحقق داخل المجتمع سعادة زائفة تحتوى على الخوف من الغد المجهول والقلق الدائم والتوتر ....، والهدف من كل هذا تحقيق الاتساق والاستقرار لاستبعاد كل احتجاج أو تمرد ، للدخول في دوامة الاغتراب بالتعلق بالتكنولوجيا اللاعقلانية والرضى بالوضع الزائف[3] .

---

[1]- هربرتماركيوز ، **الانسان ذو البعد الواحد** ، تر. جورج طرابيشي ط3 (بيروت : دار الآداب ،1988) ص109 .

[2]- فؤاد زكريا ، مرجع سابق ، ص28 .

[3]- قيس هادي أحمد ، مرجع سابق ، ص113 .

ثانيا: السيطرة التكنولوجية

لقد سيطر المجتمع المعاصر الصناعي على اهم وسيلة ،خصوصا لما أدرك أهميتها على الفرد ،ألا وهي التكنولوجيا التيلا يستطيع الاستغناء عنها ،إلاأنها لم تستعمل في تحسين ظروفه الصعبة ، بل وسيلة للإخضاع والسيطرة والهيمنة على الانسان والطبيعة بطريقة غامضة ، كما سيطر القمع على المستويات الفكرية والمادية وحتى الجنسية بطرق عقلانية ، مما جعل المجتمع مهدد بكارثة جراء التسابق نحو اختراع الوسائل الحربية المدمرة لغزو العالم بشكل مرعب [1]،فالإنسان لا يمكنه من جهة الاستغناء عن التقنية ومن جهة اخرى لايرض بالخضوع لها ، حيث جعلت الفرد مجرد شيءوأدخلته في عالم الاغتراب ، وبالرغم من هذا تبقى التكنولوجيا المتطورة الوسيلة الوحيدة لإكمال نقائص الانسان وحاجياته لأنها تحقق له العيش الكريم وتحل له كل مشاكله التي يعاني منها[2]، فالحضارة برمتها تعيش في وطأ القمع سواء كان هذا الانسان يعيش في المجتمع الرأسمالي والاشتراكي ، فهو يعاني من مخلفات هذين النظامين الذين يعتبر القمع طابعهما المميز ، فكلما زاد التقدم في المجتمعات المعاصرة كلما تضاعفت نسبة القمع[3] .

ثالثا : الطابع العقلاني للعقلانية

لعل انقسام المجتمع إلى طبقات مستغلة ومتلاحمة هو مظهر للعقلانية المتمثلة في تحديد الحاجات التي تتزايد باستمرار من الملابس الأنيقة والسيارات ...الخ، المقدمة للعمال الذين يشعرونأنهم سادة وهم في الحقيقة عبيد ، فمجتمع السيطرة قفز إلى الأمام بتزييف وعي الفرد واستبدال الرقابة الخارجية بالداخلية وأضحى خاضعا لها وزيف حاجاته المادية والفكرية ، فالوعي عدو لدود للمجتمع لأنه يمثل قوة النقد

[1]- هربرتماركيوز ،الانسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق ، ص26 .
[2]- محمد حسن محمد ، مرجع سابق ص 189 .
[3]- هربرتماركيوز ، المصدر السابق ، ص109 .

السالبة التي باتت كفكر محاطا بالتحقير والازدراء، فباسم العقلانية التكنولوجية جعلت الانسان يلتزم بالواقع المعطى له ونبذ المفاهيم النقدية [1]

كما لم ينجو عالم اللغة هو الاخر بحيث حللت اللغة الى ذرات بفضل التكنولوجيا التي استغلت كل الاشياء الطبيعية لأغراض اجتماعية وحضرية في غزوي الطبيعة فأصبحت القوة المحددة للحياة والثقافة في ظل المجتمع الطبقي والقمعي ، فأصبح هدفها من كل هذا ان تكون عقبة في وجه القوى المعارضة التي تنشد التحرروتحول البشر إلى أدوات بالسيطرة التكنولوجية وكل هذا يبدو عقلانيا وهو في الحقيقة لا عقلاني[2] .

رابعا: دور اللغة ووسائل الاتصال

إن دور اللغة يكمن في الوساطة الاجتماعية داخل المجتمع ، في حين وكلاء الاتصال يضعون المترجم بأحادية السلوك واللغة التي جعلوها موحدة ،إذ لازال التوتر بين الظاهر والواقع مع نمط التفكير الجديد والمفروض ، فالمفاهيم المتجاوزة للواقع هي البيان اللغوي بين الفاعل والمفعول بالنسبة الى النظام ،أما الفرد فيطالب باللغة المباشرة للتخاطب ، ذلك أن اللغة العادية تتم بالمعارضة للواقع الملاحظ كنمط من الوعي التحرري[3]، حيث أن العبودية والمساواة المفروضة لا يمكن التعبير عنها في تعريف متصلب ومغلق ، بل هي مفاهيم اشمل من أن تحصر في تعريف ضيق كالذي تحدده السلطات في الوقت الراهن .

هذه اللغة ذات النزعة الكلية الاستبدادية ،فالرأي العام أصبح يقبل هذه الاكاذيب التي لم يعد مضمونها ظاهرا للأنظار ، فغرض هذه اللغة يدل على انتصار المجتمع بتناقضاته الصارخة التي تود التوفيق بين المتعارضات في اللغة ،إدراجها في بنية مألوفة[4] .

---

[1]- محمد حسن محمد ، المرجع السابق ، ص 189 .
[2]- هربرتماركيوز ، الانسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق ، ص 91 .
[3] - المصدر نفسه ، ص 92 .
[4]- المصدر نفسه ، ص 126 .

خامساً: السيطرة المنطقية

إن ما هو كائن ليس بحقيقي حسب ماركيوز ، فكل شيء عين العقل الذي يساوي الحقيقة ويساوي الواقع ، فالعقل الذي هو سلطة النفي فقد وظيفة التمييز مع العقلانية التكنولوجية التي هي مثال العقل.

لقد حققت الحضارة التقدم والتوازن بين الحرية والعبودية ، والإنتاج الضروري والإنتاج المدمر ، والتقدم والانكماش ، وهو مثال للعقل الذي بات في صراع مع نفسه بتقبله السلبي ، وانتصار حضارة احادية الفكر والبعد على العقل[1] ، وأضحى العقل لا يميز بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون ، فكل شيء خاضع لمنطق السيطرة سيطرة الانسان على الانسان ، وكل شيء مخطط يستهدف التقدم ويستهدف الانسان الذي يدخل يوميا في مراحل الاغتراب[2] ، فيتلاشى العقل ويصبح الفكر ذو بعد واحد، محصورا في استسلامه للموت دون أن يختار أو يفكر، فالحياة هي أن تختار طريقك الخاص إلى الموت بالمنطق المعاصر . فالإنسان ذو البعد الواحد كما وصفه ماركيوز أو الانسان المعاصر في عصر المراقبة الإلكترونية التي انتهت إلى افساد فعلي للإنسان ، بهدف صناعة إنسان السوق ، وذلك بتمليكه حاجة زائفة تجعله يلهث دوماً وراءها كمستهلك فقط ، فالناس يتعرفون على أنفسهم في بضائعهم، ويجدون جوهر روحهم في مشترياتهم الكمالية كالسيارات ... الخ والأجهزة والرقابة الاجتماعية تحتل مكانها في قلب الحاجات ، وتكمن حرية الكائن في تحرره منها ،لأنها زائفة فكبلت وعيه وحولته إلى رقم بلا روح ، وإلى كائن استهلاكي مشدود الرغبة في امتلاك الأشياء[3] .

---

[1]- هربرتماركيوز ، الانسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق ، 165 .

[2]- الطيب بوعزة ، **ماركيوز والمجتمع الحداثي** (مجلة النبأ ، شهرية ، ثقافية عامة ، العدد ، 80 ، 2006) ص 36 .

[3]- هربرتماركيوز ، المصدر السابق ، ص 68 .

المطلب الثاني : الأسس التي ترتكز عليها الحضارة

أولا: قيام الحضارة الصناعية

يعتقد ماركيوز أن الحضارة الصناعية المعاصرة تقوم على زيادة القمع ، ساعية إلى الانتاج بالتكنولوجيا المتقدمة ، فالمرض الحقيقي هو تلهف الانسان على الانتاج الزائد ساعيا وراء الاختراعات التكنولوجية الجديدة التي ستؤدي إلى حتفه ، إذ نلاحظ تقابل وسائل البناء والتدمير، والحرية مقابل القمع، والرقابة على الحياة الخاصة والعامة والتحكم في السلوك الفردي والجماعي في أوقات الفراغ وأوقات العمل ، وهذا من أجل أغراض سياسية وتجارية متداخلة ، فكلاهما حولا الانسان إلى وسيلة فقط من أجل تحقيق الخطة التخريبية والهدف هو السباق مع نمط الانتاج الغربي للحاق بالعملاق الامريكي صاحب الحضارة القمعية حيث يسير لتكييف الطاقة المدمرة مع المجتمع من أجل تطوير الاقتصاد والتقنية[1] . إنها حضارة اجتمعت فيها القوى السياسية والثقافية التي أضحت لا عقلانية رغم عقلانيتها في الظاهر ، فلو كانت عقلانية لما انتجت وسائل التدمير من اجل البناء ، واحتواء السلبي للإيجابي ، وعدم التمييز بين الواقع والأفكار السائدة التي جعلت الانسان يعيش في حالة اغتراب رهيبة في جميع المستويات[2] .إن الحضارة فتحت أفاقاً جديدة للإنجازات ملبية مطالب الانسان ، لكنها فتحت في نفس الوقت مجالات للهدم والطغيان ، ولذلك علينا تجاوز الحرية مقابل سلطة الواجبات إزاء المصالح ، هذا هو المجتمع الذي عاش فيه ماركيوز ، وقد أفاض في تحليله مبرزاً طغيان العقلانية على الابعاد الداخلية للإنسان فلا شيء قد يفقد هذه النظم سيطرتها ويكسر قيودها ويفرغها من معناها إلا بالثورة عليها فهي سبيل الخلاص من هذا النمط المقنن للحياة المعاصرة[3] .

---

[1]- هربرتماركيوز ، الانسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق ، ص 51 .

[2]- انطوان دي كريسبني ، كنيت مينوج ، **اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة** ، تر. نصار عبد الله (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1988) ص 25 .

[3]- محمد الجوة ، **مفهوم القمع عند فرويد وماركيوز**، تر. فتحي الرقيق ، ط 1 (بيروت : دار الفارابي ، 1994) ص 157 .

ثانياً : وضعية الانسان في المجتمع المعاصر

لقد انتقد ماركيوز النظم الاجتماعية المعاصرة والمتمثلة في النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي ، ورأى أن أحادية البعد هي مرض العصر ، حيث يقول ماركيوز " أصبح الانسان ذو بعد واحد أي استغناءه عن الحرية فهو يتوهم انه يستطيع أن يختار مثلا بين تشكيلة كبيرة من البضائع[1].

لهذا يرى ماركيوز أن الانسان يعيش بعدا واحد في كلا النظامين ، يعيش في مجتمع قهري وهذا الامر مرت به البشرية عبر تاريخيها ، وهو قائما في كل المجتمعات له أشكال متعددة ، وأغرب أنواع القهر ما يعيشه الانسان المعاصر في عصرنا الحالي حيث أن القهر في العصور السابقة كان يمارسه طاغية أو حاكم مستبد يمكن الكشف عن طغيانه بالاحتكام للعقل والمنطق ، لكن في المجتمع الصناعي المعاصر يعاني الانسان من قهر النظامين ، فالقهر يمارس على أساس يظهر لأول وهلة أنه معقولة دون ان يتدخل طغيان حاكم مستبد . إن المغزى الاساسي من عبارة الانسان ذو البعد والواحد هو أن تكنولوجيا المجتمعات المعاصرة تنطبق عليها هذه العبارة من خلال خلق الكفاءة والوفرة المادية ، وهكذا يتحول التحرر من الحاجة المادية التي اعتبرها ماركس شرطا أوليا للحريات الاخرى إلى مجال لتوليد العبودية ويكون عن طريق صناع السياسة ، هذا ماجعل الفرد غارقا في إدعاءات تتكرر دون انقطاع فتجبره على التسليم بأنها حقائق فعلية ، فهذا النوع هو القهر العقلي المنطقي[2] .لقد أصبح الإنسان المعاصر عند ماركيوز متعلقا بسلوكياته العقلية والجسمية لأنه تم تعطيل وقمع مخيلته وذكرته ، حيث ضعف تمييزه بين ما هو زائف وما هو حقيقي لهذا ألح فيلسوفنا على ان العلم والمعرفة لا يوضعان من أجل المحافظة على العلاقات الاجتماعية القائمة ، بل يجب اعتبار أن لديهما دورا سياسيا ، وهذا بهدم

[1]- هربرتماركيوز ، الانسان ذو البعد الواحد ، مصدر سابق ، ص 12 .
[2]- المصدر نفسه ، ص 13 ، 14 .

كل القيم والأفكار السائدة ، حيث يقول " فثقافة تلعب دوراً في المجتمع التكنولوجي في تصفية المعارضة[1] .

كما يذكرماركيوز أن السيادة العقلانية هي في الواقع كاذبة ، حيث يوهم العقل نفسه بأنه يقوم على أساس منطقي ، فالعقل يخدع نفسه بنفسه ، ويتم اجبار الأفراد على قبول اغترابهم ، بل يشاركون في دعم الظروف التي تضطهدهم وهكذا يرى ماركيوزأن الانسان مضطهد في ظل نظم المجتمع الصناعي المتقدمة ، سواء الرأسمالي أو الاشتراكي ، ولذلك لا يجب أن نأخذ موقفا مأساويا من العالم ، بل لابد من الوصول إلى نظرية ثورية يكون فيها الانسان فاعلا يدرك التعامل مع الواقع لإحداث التغيير فيه[2] .

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 15 .

[2]- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 110 – 116 .

الفصل الثاني

الثورة سبيل التحرر

المبحث الاول :نقد ماركيوز للثورة التقليدية

المبحث الثاني :إستراتيجية الثورة و قوى التحرر عند ماركيوز

المبحث الّأول : نقد ماركيوز لنظرية الثورة التقليدية

لقد انقضى القرن 20 واهم ما تميز به الثورة والتمرد ضد النظم الفاسدة ،والموجات التحررية ضد الإستعمار والعنصرية ، والثورات على البيروقراطية وكبار الملاكين والقادة العسكريين ورجال السياسة الفاسدين ، رغبة في تقرير الفرد لمصيره ومستقبله بديمقراطية ورغبة في تغيير النظام القائم من الرأسمالية الى الإشتراكية او نظام آخر فلم يعد هناك إختيار لتوقيف مظاهر الإستغلال إلا بالثورة التي يمكن بها ازالة الاضطهاد وإراقة الدماء وتوقيف الحروب ووضع حد لمعاناة الانسانية ورسم معالم حضارة جديدة يسودها السلام والحب[1]، ومن أجل هذا الغرض الإنساني عالج ماركيوز موضوع الثورة , بعد نقده للمجتمعات المعاصرة التي لم تترك لهذا الانسان حرية الاختيار ، فهذا العنف والإستعباد هما اللذان دفعا به للتفكير في الثورة .

وفي نقد هربرتماركيوز للنظام الإشتراكي نقد الثورة الماركسية ليؤسس عليها نظرية جديدة .

المطلب الأول : نظرية الثورة الماركسية

ان انتصار الثورة الاشتراكية كان وفقا لنظرية الماركسية ، خلافا للإصلاحات السابقة فان إشتراكية ماركس العلمية تؤكد ان الإنتقال من الرأسمالية الى الإشتراكية يستحيل من غير ثورة تقودها الطبقة العاملة ، وانتصارها مرهون باستيعابها لجميع أشكال النضال والإنتفاضات المسلحة او الحروب الأهلية السابقة ، فلن يختفي النظام الإجتماعي إلا بعد ان تكون القوى الثورية قد تطورت ، ولن تكون ثورة إلا بوجود أزمات في النظام الرأسمالي ،وإمكانية تجاوز كل الخطوط الحمراء لذلك ركز ماركيوز في محاولة البحث عن ثورة يتحقق من خلالها مجتمع تتوفر فيه الحرية الإنسانية ، وتزول كل اشكال الإضطهاد والعنف الذي يمارس على الفرد .[2]

---

[1]- جاك ووديس ، **نظريات حديثة حول الثورة** ، تر. محمد مستجير مصطفى (بيروت : دار الفارابي 1978) ج 1 ، ص 4 ، 5 .

[2]- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 120 .

لذلك لجأ ماركيوز اولا لمحاولة فهم نظرية الثورة الماركسية لكي يؤسس عليها نظرية ثورية جديدة ، فرجع الى مخطوطاته وكشف من خلال قراءته لها ثلاثة أبعاد[1]

تتمثل في :

أولا: ينطلق التحليل الماركيوزي للأبعاد الانسانية للإنسان في النظرية الماركسية من خلال التركيز على مقولات ماركس وأهمها :

الإغتراب : وهو اغتراب كلي للإنسان يربطه ماركس بالتحليل الإقتصادي , المتجلي في تقسيم العمل الاجتماعي الذي لا يتم على حساب مواهب الفرد ومصلحة الكل بل يحدث وفق قوانين الإنتاج الرأسمالي وحسب نتائج العملّ ، وتدخل السلطة وتحكمها في طبيعة النشاط الانساني وغاياته ، فيصبح الإنسان ووعيه ضحية علاقات الإنتاج المادي ، بمعنى أن العامل لما ينتج يزداد فقرا وبؤسا كلما زاد الإنتاج في حين تزداد الطبقة البرجوازية ثروة وغنى فبؤسهم مرتبط بزيادة الانتاج وطريقة العمل السائدة والمتمثلة في القوانين والعلاقات الإقتصادية التي يتحدد من خلالها وجود وماهية الإنسان الكلية ، وبالإضافة الى فقره يزداد غربا وابتعادا عن الواقع فيصبح إبنا للشقاء والبؤس مقيد بقيود العلم المتخصص الذي يحدد وجوده[2]

ثانيا: بالنسبة الى التحليل الإقتصادي الماركسي فهو متجلي في الصراعات الطبقية بين طبقة العمال والطبقة البورجوازية في المجتمع الرأسمالي ، الصراع المرتبط بالإقتصاد والهادف الى تجاوز حالة الضياع الشامل التي يعانيها الفرد في ظل المجتمع الرأسمالي ، والتي كان الهدف منها هو كشف المقولات الزائفة مثل قوانين العرض والطلب ، تحديد الأسعار ، الدورات الإقتصادية ، بوصفها قوانين موضوعية بصرف النظر عن تأثيرها على حياة الانسان ،. التي حاول ماركس دراستها بتجريدها

---

[1]- محمد حسن محمد ، مرجع سابق ، ص 164 – 166 .

[2]- هربرتماركيوز ، **العقل والثورة** ، تر. فؤاد زكريا ، ط2 (بيروت : المؤسسة العربية للدراسة و النشر ، 1979) ص 267 .

من الحيادي المريب اتجاه الواقع الرأسمالي اللاإنساني ، وهذه القضايا تتجاوز مقولات الاقتصاد السياسي في صورته البرجوازية التقليدية[1].

فالطبقية عند ماركس هي الشكل الاساسي في صراع الانسان ونضاله ، وتعد مرحلة أساسية لتطور المجتمع الانساني في المملكة المتحدة ، الصراع الذي وحد العمال كطبقة واحدة بغية تحقيق المصير ، والذي ولد ثورات لإلغائها المرتبطة أساسا بالظروف الإقتصادية ، كانخفاض الأجور الاغتراب والفقر والاستغلال ... ، التي وحدتهم بفكر مقاوم[2]، وهي التي ستحمل لواء الثورة وتنفي النظام الطبقي عندما تدخل الرأسمالية الأزمة النهائية ويسود الخراب وتعم الفاقة جموع البروليتاريا ، وحينها يتوقع ماركس ان تنظم البروليتاريا نفسها كطبقة ثورية متبعة رسالتها التاريخية وتمارس داخل النظام الرأسمالي دور حفار القبور ، لكن ماذا لو حسنت الرأسمالية مسيرتها واستجابت لمطالب الطبقة العاملة وامتصت بذلك وجوه المعارضة بإدخال تغيير في نظامها ؟[3]

ثالثا:الحتمية التاريخية للثورة : لقد أدان التاريخ الرأسمالية بثورة اشتراكية نجمت أساسا من هذا الصراع ، بظهور الاختلافات بين الطبقتين و الفروقات بينها ، لكون الرأسماليين يملكون وسائل الانتاج وما يدر من الارباح الناجمة عنه ، ويسيطرون على كامل الاقتصاد ،إلا ان هذا ليس بدائم أو محتوم بل تملك الطبقة المستغلة وسائل الانتاج التي وضعت تحت تصرفها قوة اقتصادية ضخمة لفرض ارادتها على المجتمع ، فالعنف والاستغلال الممارس عليهم من طرف الدولة والحكومات كنظام سياسي قائم ، هو ما دفعها للتفكير في التخلص من هذا الوضع لتنظيم نضالها الثوري ، بهدف إسقاط النظام الرأسمالي ،فالديمقراطية غير ممكنة إلا في النظام

---

[1]-هربرتماركيوز ، العقل والثورة ، مصدر سابق ، ص 268 ، 269 .
[2]- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 105 .
[3]- المرجع نفسه ، ص 164 – 166 .

الاشتراكي وسيظل الصراع قائما بين المستغلين والمستغلين . هو الذي يدفعهم الى الثورة الحقيقة لأجل الانتقال إلى تشكيلة اجتماعية واقتصادية أخرى[1].

إلا أن الثورة الاشتراكية حدثت في الاتحاد السوفياتي الامبراطورية الفلاحية التي تحوي سمات التخلف ، المجتمعات التي لم يتوقعها ماركس ، وإثر نهاية الحرب العالمية الثانية اضحي العالم محتل من طرف الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية ، حيث استولت الأحزاب الشيوعية على الحكم ونظمت العمال وقادت الثورة ضد الرأسمالية تحت شعار التحرير ، وفرضت الاشتراكية بالقوة على الشعوب المضطهدة رغم رفض ماركس قيام الثورة الاشتراكية في تاريخ الاتحاد السوفياتي[2].

المطلب الثاني: نقد ماركيوز لنظرية الثورة الماركسية

انطلاقا من سلبيات النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي في آن واحد فقد بدأ ماركيوز نظريته في محاولة التأسيس لنظرية ثورية جديدة من خلال استغرابه حول عدم قيام حدوث الثورة او لما أصبحت مستحيلة في عالم يمتلك القوه الكلاسيكية للثورة في المجتمع الصناعي المعاصر وكيف حدثت في عالم لا يمتلك شروط الثورة ؟وكيف اصبحت الثورة عاجزة ؟[3]

هذا ما جعل ماركيوز يبحث عن قوى اخرى معارضة للنظم القائمة التي تستطيع توجيه الضربة القاضية لها قبل ان تتحول المعارضة ضدها ، فلابد من التعمق الجديد لنظرية الثورة الماركسية من أجل الكشف عن التناقض في النظم القائمة فوعي امكانية كهذه امر ضروري بل هو الامل الوحيد الباقي في الثورة ، فلم تعد ماركسية القرن 19 مجدية ولا نظرية الثورة نافعة , ولذلك إنحرفماركيوز عنها كلية لافتراضها شروك تجاوزها الزمن[4] .

---

[1]- عبد الفتاح ابراهيم ، **الاجتماعية الماركسية** ، ط1 (بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1980) ،ص28.
[2]- عبد القادر الطرابلسي ، **المادية التاريخية في مأزق الحتمية** ، ط1 (تونس ، الطباعة الحديثة ، 1960) ص 28 .
[3]- انطوان دي كريسبني ، مرجع سابق ، ص 18 – 34 .
[4]- عبد الباسط عبد المعطي ، مرجع سابق ، ص380 .

إن طبقة العمال اندمجت في النظام الرأسمالي مما يعني عجزها عن ممارسة دورها التاريخ المنتظر وهو الثورة ، ففكرة إدماج البروليتاريا محورية لدى ماركيوز فالمجتمع الرأسمالي مازال طبقيا ولم تعد الطبقة العاملة النفي له ، فالتصور التقليدي للثورة لم يعد يعتمد على قيادة الحزب الثوري ، ولم يعد قابلا للتطبيق في البلدان الرأسمالية المتطورة ، التي اندمجت فيها البروليتاريا وأصبحت جزءا منها ، ولا يقتصر ماركيوز على نقده للنظرية التقليدية على نقد البروليتاريا فحسب ، بل الى نقد التجربة السوفياتية ذاتها الرائدة للماركسية التي ادت اسباب فشلها الى قيامها في ظل عدم توفر الشروط الذاتية والموضوعية للثورة ، ولم تسترد لاستراتيجية ثورية على القضية المستخلصة من التاريخ ، فالتحرير ينبغي ان يفرض بالقوة في ظروف يتوفر فيها النضج المادي والفكري ، كما ان الايدولوجيا القمعية للحرية تفترض امكانية التحرر في ظل المعاناة والفقر ، وما غاب عن السوفيات الماركسيين هو خلق شروط مادية قبلية للحرية لكل اعضائه قبل أن يصبح مجتمعا حرا ، فالعبيد لابد ان يكون احرارا في المجتمع الاشتراكي ، وفكرة الحرية يجب أن تكون من صنع الطبقة ذاتها ويجب تزويدهم بالوعي فهؤلاء هم من يحملون رسالة التحرر الثورية[1] .

بعد أن أنكر ماركيوز النموذج الاشتراكي ،عليه البحث عن مفهوم اخر للثورة كيف نصنعها ؟ و ماهي النتائج التي قد نصل إليها ؟ ومن قد يتزعم الثورة بعد تخذر وعي البروليتاريا وانحرافها عن مسيرتها التاريخية،واندماجها في النظام الرأسمالي ؟[2]

---

[1]- محمد حسن محمد ، مرجع سابق ، ص 168 ، 169 .

[2]- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 100 .

المبحث الثاني : استراتيجية الثورة وقوى التحرر عند ماركيوز

أمام الطريق المسدود للنظرية الماركسية يتمسك ماركيوز بثورة اخرى منتظرة ، ربما مازال الامل في اعتقاده في ايجاد طبقة لم تندمج بعد ، ولم تلوثها الحضارة ، رافضة للنظام ، مقترحا نظرية اخرى للثورة لمواجهة الواقع القمعي السائد في المجتمع .

ولا يقف ماركيوز على نظرية الثورة فحسب ، بل يقدم لنا جملة من القوى التي تقود إلى التحرر.

المطلب الأول : الإستراتيجية الثورية

على الثوار أن يثوروا ويكثروا من الشغب ليدفعوا الاحزاب لتنظيم قواعد الثورة , حيث انتقد ماركيوز النظرية الماركسية والرأسمالية معا ، وأعطى اجابات للثوريين بالاستعانة بالأفكار التقدمية ، لا أن يستعينوا بالأفكار القديمة والشعارات والوعود الكاذبة التي لا تصمد أمام النقد ، فقد عجزت الطبقة العاملة عن تحرير نفسها كطبقة مستغلة فكيف يتحرر المجتمع من القهر والاستغلال والتمايز الطبقي ؟[1]

إن البعض اندمج في النظام الرأسمالي الذي كافح من اجل تجاوز نقائصه بفضل التكنولوجيا والثورة العلمية ، ودافع عن نفسه للبقاء والحفاظ على مصالحه ، بالدعاية والرشاوى للعمال وبالسياسات الانتهازية ، فنظرية التمرد ماركيوز وممارسة الثورة في العالم سيكون بثوران طبقات اخرى من فلاحين وعمال ومثقفين وحثالة البروليتاريا فالقوة القائدة هي الطبقات الاجتماعية في بداية مراحل الثورة التي قادت التمرد في اوروبا الغربية خاصة والولايات المتحدة الأمريكية ، رافضين للاستغلال ، آملين في التغيير ، فماهية الثورة ليست قضية شعارات وعنف ومعارك مع الشرطة في الشوارع والحروب المسلحة في الأدغال

[1]- انطوان دي كريسبني ، مرجع سابق ، ص 34 .

فالثورة قد تحتاج لهذا لكن ليس بهذه الأشكال ، فهدفها هو التغيير في بنية المجتمع وقواعده من اقطاع ورأسمالية واشتراكية وتغيير السلطة السياسية الاقتصادية من الحكام الى العمال ، القادرين على دفع المجتمع للأمام، وهذا ما ظهر في الثورة الانجليزية 1640 والثورة الفرنسية 1789 التي غيرت النظام ، وهذا ما تنشده الاشتراكية وما ادى الى انهيار الرأسمالية كما ورد عند لينين ، فالتغيير الطبقي هو لب الثورة الذي يحدث على مستوى الدولة والطبقات الاجتماعية هو صميم الثورة الهدف الذي تصبو له الاشتراكية هو ضمان عدم بقاء المؤسسات الاعلامية والاقتصادية في يد الرأسمالية ، وانعتاقها لتصير بيد الطبقة العاملة التي تمثل الاغلبية من الشعب الذين يحتاجون لدولة تتمكن من تحطيم السلطة الاقتصادية الاحتكارية الرأسمالية ، وهذا ما يتطلب العديد من اعمال الشغب والعنف من طرف المضطهدين العمال ، المنفذين لإرادتهم بدعم الجماهير ، لنقل السلطة لبناء الاشتراكية التي فشلت ،إلا ان التغيير يتطلب قوة متحالفة مع الطبقة العاملة والفئات الأخرى من المستغلين والمهمشين ، والأقليات من الفئة المحرومة إجتماعيا والمنبوذين الذين لم يتأثروا بالثمار العفنة لدول الرأسمالية , فالدور القيادي –حسب ماركيوز– سيقوده الطلبة والمثقفون مستخدمين العنف والدفاع بأعمال الاحتجاج فهم من يقودون الثورة ويحلون محل القوى البروليتارية .[1]

المطلب الثاني : قوى التحرر

يرفض ماركيوز ان تكون الطبقة العاملة طبقة ثورية ويتحدث عن المبعدين الذين لا علاقة لهم بالمؤسسات وليس لديهم اي التزام يرفضون ان يلعبوا اللعبة المخادعة

[1]- جاك ووديس ، مرجع سابق ، ص 16 ، 17 .

يقول ماركيوز :"إن تمرد الاجيال الشابة على المجتمع الاستهلاكي ليس شيئا اخرى سوى مظهرا فكريا لإرادة تجاوزت العصر الصناعي وبحث عن وجها للمجتمع يقع بصورة مبهمة خلف مجتمع المنتجين "[1]

فيلجأ الى طبقة أكثر رقيا وارفع درجة وهم الطلبة والمثقفين فيقول :"المثقفون الذين لا يقنعون بالجلوس خلف أحد المكاتب بل يعرضون حياتهم الآن للخطر في اعماق الجنوب مناضلين من أجل الحقوق المدنية الأولية للزنجي ".[2]

إن تمرد الشباب ليس أمرا جديدا , فعندما يتحدث ماركيوز عن وعي الطلبة يقوم بمقارنة الكثير من العمال الكبار حين يتأملون ظروف حياتهم الحالية يعتبرون أنهم حققوا مكاسب مادية لها شأنها ، جهاز تلفون وغسالة كهربائية ...، فما يراه العامل إنجازا يعتبره الشاب نقطة البدء ، فهم يتميزون بالنضج والوعي لأنهم يدركون الثروة الهائلة التي يتمتع بها حكامه ، تقوم على بؤس واستغلال الملايين في العالم الثالث وخلق محيطات جديدة من الفقر، وهم يدركون أن الشعوب تناضل من أجل التحرر مثل الحروب الصينية، ومذابح إبادة الجنس في بنغلادش.

يدل هذا على حرص ووعي الطلاب في الاوساط الاجتماعية و محاولة منهم تغيير النظام الرأسمالي الإحتكاري أو التي تقترف الجرائم ضد الانسانية التي يقوم بها النظام الديكتاتوري والشمولي، او المجتمعات البرجوازية .

ونظرا لاحتكاك الطلاب وتنقلهم لدول اخرى ساهم في تكوين أفكار جديدة، ونظرا لهذا الاتصال برزت الحركات الطلابية في 1967–1969 بأوروبا الغربية وبتغطية من وسائل الصحافة والإعلام ساهم هذا في انتشار أفكار تمرد الطلاب في جميع الأقطاب ، وقاموا بثورة ضد تحول الجامعة إلى ملحق للمنشئات العسكرية، وطالبوا بالديمقراطية واضربوا من اجل رفع منح الطلاب ونظموا الاضرابات دفاعا عن حرية

[1]- هربرتماركيوز ، **الثورة والثورة المضادة** ، تر. جورج طرابيشي ، ط 1 (بيروت : منشورات دار الادب 1973)ص 30 .
[2]- جاك ووديس ، مرجع سابق ، ص 30 .

التعبير، طالبوا بتغيير برامج الدراسة وثاروا على الادارة البيروقراطية من مدراء ومستشارين ، كما أنهم ساهموا في العديد من المظاهرات السياسية الكبرى.

نظرا إلى إهتمامماركيوز بطبقة الطلاب والشباب تشكلت نظرية القواعد الحمراء* الذين زاد نشاطهم ودورهم في التعبير عن رفضهم المستمر حيث طبقت هذه النظرية في فرنسا سنة 1968-1969 واليابان وغيرها، ويمكن تلخيص الحركة الطلابية ما بين الستينات والسبعينات في أمرين:

1- هو محاولة تغييرهم لنظام التعليم العالي، بحيث يحقق الديمقراطية للطلاب.

2- محاولتهم النضالية من أجل تغيير النظام الرأسمالي .[1]

إن احداث 1968 بفرنسا جعلتها تنتقل من الهدوء والاستقرار الى الفوضى والإضطراب، حيث انطلق الطلاب بكفاحهم من أجل المطالبة بحقوقهم، فكانوا بروح ثورية عالية وعزيمة كبيرة ويحملون رسالة نبيلة من أجل اصلاح الجامعة ورغبتهم في مشاركة اوسع لميلاد فرنسا جديدة ديمقراطية ذات توجه إشتراكي، فقد تعرض الطلاب في هذا الاضراب إلى عقوبات وحشية قامت بها الشرطة ضده ففي اليوم العاشر من مايو 1968 قام تسعة ملايين عامل بالإضراب عن العمل، وهذه الموجة من الإحتجاج اغرقت كل مناطق فرنسا، حيث قاموا باحتلال المصانع ، والذي ادى الى إثارة هذا الحماس الدعم الذي قدمه العمال التقنيين والمثقفين والدارسين والصحفيين وغيرهم من المهنيين، وهذا التضامن بين العمال والطلاب سماهماركيوز بالعفوية حيث يقول:"...أؤكد الطريقة العفوية لهذه الحركة والطريقة العفوية التي انتشرت بها"[2]، وكأن ماركيوز يشير إلى ان الطلبة هم من أشعلوا لهيب الثورة ويرى أن الطبقة العاملة لم فقدت وعيها الثوري، لم يعد لديها رافض ومعارض فوجدت عزاءها في فئة الطلاب لأنها المناسبة لهذا الكفاح والعمل الثوري ونظرا

---

[1]- جاك ووديس ، مرجع سابق ، ص 89 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 113 .

لنقص تنظيمها، وضعف قواعدها التي كانت هشة سرعان ما ضعفت أمام ضغط النظم وسيطرة السياسة التي حاصرت وكبلت نشاطهم وخاب ظن ماركيوز في النهاية، وتوجهت انظاره نحو ثورات العالم الثالث.

حركات التحرر في العالم الثالث :

إن اهتمام ماركيوز بالعالم الثالث وإضفاء القيمة على ثوراتهم التحررية كان متأخرا لأنه لم يجعل أي اختلاف أو تأثير للعالم الغربي على العالم الثالث ، وما نجم عن الحربين العالميتين والصراع بين الكتلتين ، وما ألحقته حاليا الحضارة الصناعية بالعالم الثالث، ولم يتنبأ بحدوث الثورة لأنه كان بصدد نقد المجتمع الرأسمالي وهو الذي كان يتوقع حدوث الثورة فيه، ولم يوضح الطابع المختلف لبلدان العالم الثالث من حيث الاختلاف والتطور في المستوى الاقتصادي والاجتماعي وعلاقات القوى الثورية فيها هي الاخرى ، كما لو كانت بالنسبة له كتلة متسقة دون تمييز [1]

مدرجا الرفض في البلاد الصناعية فتقييمه للحركتين من حيث النجاح في سبيل الصحيح لبلدان العالم الثالث من أجل تطورهما أن تقيم شروط التطور الجديد الذي لا يمكن تصور هذه الثورات عفوياً ، ولا يوجد شكل من التقدم التلاؤم مع طبيعة البلاد إلا بإحداث تغيير في الكتلتين الصناعيتين اللتان تقودان العالم اليوم وفق ما ترديه هي هذا التخلي عن الاستعمار الجديد لا يمكن ولهذا فالثورة الماركسية لا بد أن يطرأ عليها تغيير خصوصا على الطبقة العاملة ، وأيضا بشأن الشعوب المستعمرة والمتخلفة التي كانت في نظر ماركس حليفا احتياطيا للقوة التاريخية لثورة البروليتاريا ، إلا إنهم اليوم القوة الثورية الوحيدة ، كما أن النظرية الماركسية تصدق عموما على البلدان الزراعية ، حيث تساعد البروليتاريا تساندها كجبهات التحرير إلا أن ماركيوز فقلل من اهمية الثورات التحريرية في العالم الثالث بعد أن منح لها الأهمية من قبل .

[1]- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 232 – 234 .

إن حركات التحرر الوطنية ستؤثر على تطور المجتمع الرأسمالي مستقبلا بشكل ملفت وخطير، وذلك ضمن سياسة التعايش السلمي التي اتجهت لها المجتمعات السوفيتيةالاشتراكية ، وفي أخر المطاف ربط ماركيوز حركات التحرر بالحركة الطلابية، لان النظام الرأسمالي استحالت فيه الثورة، فقوة الثورة الخارجية بقوة ثوار الجبهات التحريرية ودورها الفعال زاد من المعارضة في الدول الرأسمالية، إلا أن القوة الداخلية والخارجية لن تنجح إلا اذا حدثت ازمة في النظام الرأسمالي داخل بنيته[1] .

إن حركات التحرير الوطنية ليست القوة الأساسية لثورة ، القوة الثورية الوحيدة لا تمثل التناقض في وجه الرأسمالية، وعدم اخلاصه لحركات التحرر في العالم الثالث وكان التركيز عليها بوصفها القوى الثورية القائدة وحُوف الدور الحقيقي للثورة في العالم الثالث لصالح الأيديولوجية البرجوازية والنظام الرأسمالي، وهذا ما ظهر في وسائل الدعاية لكتبه، وأن حركات التحرر في العلم الثالث يتوقف نجاحها على موقف الكتلتين منها وهما قاعدتا الاستعمار الجديد[2] .

1- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 232 .
2- المرجع نفسه ، ص 164 .

الفصل الثالث

يوتوبيا التحرر عند ماركيوز

المبحث الاول :التحرر بالتكنولوجيا و الفن

المبحث الثاني :حضارة الإيروس و الثاناتوس عند ماركيوز

المبحث الثالث :نقد وتقييم فكر هربرتماركيوز

المبحث الأول : التحرر بالتكنولوجيا والفن

لا شك أن الانسان المعاصر لا يستطيع أن يستغني عن التكنولوجيا من جهة ، ولا يريد الخضوع لها من جهة أخرى ، وهنا نشير إلى أن ماركيوز لاحظ ان العلم والتكنولوجيا عاملان أساسيان للتحرر بعدما كانا عاملين للسيطرة الكلية ، كما انه لم يغفل دور الفن في عملية التحرر وتجاوز الواقع المر.

المطلب الأول: التحرر بالتكنولوجيا

لقد صب ماركيوز جام نقده على السياسة ومختلف الأيديولوجيات والتوجهات التي حولتها إلى أداة للسيطرة ، فحسب ماركيوز يمكن أن تكون محايدة وتخضع للتوجيه القائم على سياسة ضمن شبكة المصالح الاقتصادية و الاجتماعية الهادفة لخدمة الصالح العام[1] ، وهذا لا يعني أنه يدعو للعودة إلى عصور ما قبل التكنولوجيا ، أو ممن يتصورون السعادة الحقة تكمن في المجتمعات التي لم تلوثها التكنولوجيا ، ولم تدخل عليها التقنية ، ولا يدعو للعودة الى الطبيعة ، فقوام التحرر عنده يكمن في الاستخدام المتزايد للتكنولوجيا وما حققته من إنجازات لتحرير الانسان والطبيعة من سوء إستعمالها[2].

إن التطور الاقتصادي أفرز ظروفا تاريخية أتاحت للفرد امكانية تحرره ، فقد بلغ ذروته التي ستنقلب إلى ضده ، وسيتمكن من التحكم في عمليات الانتاج واختزال طاقاته البشرية وإحلال طاقات فكرية ، تسمح له بالتخلص من القهر الممارس عليه و الاغتراب في مجال العمل بتزايد الآلات ، وسيتمكن من إظهار مواهبه وقدراته بعيدا عن العنف ، وسيتولى بنفسه الاشراف علي عمليات الانتاج ، وستنخفض

---

[1]- هربرتماركيوز ، **نحو التحرر** ، تر. جورج طرابيشي (بيروت : دار الآداب ، 1972) ص 20 .
[2]- هربرتماركيوز ، **فلسفة الطريق المسدود** ، تر. محمود امين العالم (بيروت : دار الآداب ، 1972) ص 142 .

ساعات العمل مما بجعله حرا ، كل هذا تحقق مع العقلانية التكنولوجية ذاتها ، ولن تكون الحاجة للتمرد بعدها .

المطلب الثاني: التحرر بالفن

يمكن للفن مساعدة الانسان على تجاوز الواقع ، وتحريضه للقيام بالثورة على كل ما هو سائد ، ففي الفن تكمن طبيعة الرفض بجلاء وتظهر المعارضة الصارخة وبذلك يحاول الفن الأصيل رسم معالم حضارة جديدة ، قائمة على قيم سامية ينشدها الفرد ويطمح إلى تحقيقها[1] ، والحصول على حريته والتخلص من الواقع ، فلطالما مثل الفن بعدا اخر مناقضا للواقع ومثل الرفض الكبير له ، والملاذ الوحيد للخروج من مأزق السيطرة لما يشكله من تهديد بما يحمله من الرفض والنقد والدعوة الى الثورة والتحرر والخلاص من كل ما هو قائم ، وذلك بالأساليب التي تجعل الانسان يتكلم وينفي ، فكلها انماط للمقاطعة وإعادة الخلق لوجود اخر[2] .

هذا الاهتمام لماركيوز كان نتيجة لتأثره بأعمال شيلر ، التي تدور حول تحرير الانسان من الظروف اللاإنسانية الناجمة عن الحضارة الغربية التي أفرغت معناها المادة ، وغابت فيها القيم كالحرية و السعادة وبرز فيها كل ما هو مشوه ، اذن فطريق الخلاص حسب شيلر مرتبط بالبعد الجمالي ، والذي وظفهماركيوز في بحثه عن التحرر للإنسان من الواقع الذي طبعته السيطرة و القمع ، الواقع الذي جعله مشوها فاقدا لأبعاده الانسانية يعيش بلا أمل . بهذا آمن ماركيوز بما يستطيع الفن إحداثه ، من خلال دوره الناقد في مقاومة مظاهر العنف والاستغلال السائدة وهذا

---

[1]- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 144 .

2-Marcuse , Herbert **, Eros et civilisation** ,Contribution , a Freud , 1[ere] , Trad. Neny , et .B, Frank(paris:edition , de Minuit, 1993) p 159.

الايمان تحقق بشكل اكبر من خلال إهتمام الادباء والفنانين بالجانب الفني الجمالي وتوظيفه في أعمالهم الناقدة والرافضة لتشيؤ واغتراب الفرد ، بالرغم من ان الواقع

الذي يرسمه الفن خيالي ووهمي[1] ، إلا انه في الحقيقة خطر وتهديد لأصل العالم فقد طغت عليه العقلانية المتميزة بالاتساق والمختلفة عن العقلانية التكنولوجية ساعيا للوصول الى صورة جديدة لواقعنا ، وهذا بالانتقال الى الفن الذي لا يلغي ما وصلت اليه التكنولوجيا من منجزات علمية ، بل على اساسها يستمد الفن قوته وبها يمكن التحرر وهذا بإحداث تغييرات نوعية وتوجيه المنجزات العلمية وفقا لغايات الفن الجديدة لجمع الابعاد المتناثرة للإنسان بقوة التمرد الكامنة فيه ، فقد اكد التاريخ ان الفن حقق هذا البعد الضائع فينا ، على سبيل الذكر ما حققته موسيقى الجاز التي اشتهر بها السود في أمريكا الذين تعرضوا للقهر ، فكانت تعبيرا عن تمردهم فنيا ولغويا سعوا بها إلى تغيير الواقع الإيديولوجي[2].

من الضروري عند ماركيوزاسترجاع قيمة الفن ودوره لبناء عالم اخر يتحقق مع الفنان الثائر على واقعنا ، واضعا اياه دافعا لثورته الفنية باستحضار الصور الجمالية التي تعبر عن الحرية بعيدا عن العلاقات الاجتماعية، موضحا سبل التحرر غير المنفصلة عن المجرى الاجتماعي او التاريخي[3].

لقد أبرز الاختلاف بين الواقع المزيف الكائن والواقع الذي يجب أن يكون ، من خلال دوره النقدي والثوري المتضمن فيه باحتوائه لما يرجوه الانسان من حرية وسعادة وحرية والرفض للواقع كلها افكار معبرة عن طموحاته المستقبلية التي تحققت لديه بالخيال وعبر عنها بالرفض العظيم والإرادة القصوى رافضا السيطرة الكليةهذه الصورة المقدمة من طرف الفن هي مجرد وهم يوحي بعالم اخر ممكن التجسد

[1]- هربرتماركيوز ، نحو التحرر ، مصدرسابق ، ص 46 .
[2]- المصدر نفسه ، ص 46 .
[3]- هربرتماركيوز ، الثورة والثورة المضادة ، مصدر سابق ، ص 134 .

هذا الخيال هو بمثابة ثورة سياسية منعكسة على واقع البروليتاريا الذين اتخذوا الفن وسيلة للتغيير وضعهم وبعث الوعي لدى جموع البروليتاريا.

إن الفن يبقى لدى ماركيوز يحمل قوة ثورية ، فالثورة التي دعى لها في صميمها ثورة جمالية لما يحمله من احتجاج فالمعارضة هي مقياس الفن الصحيح ، فهو يوحي بحقائق و قوانين ماثلة بالصورة والشكل اللذان يخلقان حقيقة مغايرة للوضع[1]فالفنان ضد القوانين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، يحمل في كنهه صراع نفسي غير متوافق مع الواقع لذى يتجاوزه بأي صورة من صور الفن وأنواعه .

رغم تحدي الفن للواقع المؤلم الذي احكم قبضته على الانسان وجعله ذو بعد واحد هاهي التكنولوجيا مجددا تمد يدها الى ما بقي لديه من أبعاد المعلق عليه الامل في التلذذ بالحرية فهي لم تكتفي بتزييف حاجاته المادية والفكرية والنفسية التي تكيف معها الفرد لطغيان العقلانية في ظل التوجيهات السياسية والأيديولوجية ، حاولت ان تشوه وظيفة الفن وما قد يبعثه من ثورات للتغيير ، واستبدال قيمه الجمالية بالتجارية وخلق صراعا في القيم ، فالفن الذي يدعو له ماركيوز في صميمه احتجاج على الواقع ، لذى يعلق عليه امالا كبيرة لأنه يحمل احلاما انسانية ومصيرها ، ويخلق واقعا منتظرا غير مزيف[2].

[1]- فؤاد زكريا ، مرجع سابق ، ص 53 .
[2]- هربرتماركيوز ، الانسان ذو البعد الواحد ، مصدر سابق ، ص 100 .

الفنون التحريرية :

أ-الفن التجريدي :

كالرسم والخيال والشعرهي الفنون التي يهرب بها الفنان من الواقع للخيال الملموس والعين المجردة بواسطته ينعزل عن الواقع إلا أنه يمثل شكل من اشكال الرفض .

ب – المسرح :

هو ترجمة المحيط الطبيعي والتقني إلى شكل فني مؤثر خاصة ما شهده القرن 19 و 20 من حروب خاصة الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية وتمثل في مسرحيات بريتش كعمل فني ملحمي فهو يعبر عن الواقع ويبعث الحركة الثورية ، ففيه تتوحد المشاهد مع المعالم وتتغير حقائق الاشياء اليومية بروح السلب التي يتعين تجاوزها والسمو فوق الاشياء كمسرحيات رولف وروايات صامويل التي تمثل التاريخ الواقعي الذي بالعقل يبرر و ويغفر الجريمة[1].

ج – الشعر :

يورد الشاعر الاشياء الغائية ويجعلها حاضرا يمارس عليه النفي الأعظم فهو يعمل على تقويض العالم وخلق تجربة جديدة ومألوفة بين الانسان و الطبيعة باستخدام اللغة غير العادية للثورة على الوضع ، والشاعر يبتدع لنفسه لغة جديدة جمالية خالصة فيكون موقفه حيادي منافي لروح الثورة وبإمكانه السمو في الافاق فيحق للخيال التنازل بإحالة امام الواقع الذي يدركه ويتجاوزه[2] .

---

[1]- هربرتماركيوز ، الثورة والثورة المضادة ، مصدر سابق ، ص 136 .
[2]- هربرتماركيوز ، الانسان ذو البعد الواحد ، مصدر سابق ، ص 258 .

المبحث الثاني : حضارة الايروس و الثاناتوس عند ماركيوز

بعد تقديم ماركيوزلإستراتيجية ثورية جديدة على انقاض الثورة الماركسية التقليدية تعتمد على المثقفين بدل طبقة العمال عند الماركسية ، فهو لا يقف عند هذه الاستراتيجية فقط بل يقدم لنا طرق التحرر بالاعتماد على التكنولوجيا وتسخيرها لخدمة حرية الانسان وسعادته اضافة الى البعد الفني والجمالي الذي يتوفر على جوانب التمرد والثوران على الواقع القمعي الذي أفرزته النظم السياسية ، وبذلك يقترح حضارة الحرية الجديدة التي تعتمد أساسا على اليوتوبيا المتجاوزة للواقع المر والقمعي لتخليص الانسان منه ، واسترجاع قيمه الانسانية التي فقدها خاصة الحرية .

المطلب الاول : أصل القمع عند الفرد

يرى فرويد بان القمع يظهر نتيجة صراع الغرائز ، أي بين الحياة و الموت والطبيعة و الحضارة ، والعقل باعتباره الجهاز المتحكم في الغرائز ، فان دوره يتحدد من خلال المضادات اي البنية الشعورية واللاشعورية[1] ، وهذه الثنائية تقوم على الأنا الأعلى والأنا والهو* ، فهذه المتضادات تعبر عن مبدأين متطرفين يسيطران على الجهاز العقلي إلا وهما مبدأ اللذة ومبدأ الواقع.

النظرية الفرويدية تقوم على التعارض القائم على الغرائز الجنسية (غرائز الليبيدو) وغرائز الأنا ، هي غرائز حفظ البقاء الذاتي ، حيث يظهر التعارض و الصراع بين غرائز الحياة الايروس** ، وغريزة الموت الثاناتوس ***

---

[1]- هربرتماركيوز ، **الحب والحضارة** ، تر. مطاع صفدي ، ط 2 (بيروت : دار الآداب للنشر والتوزيع ، 2007) ص 20 .

* الهو : تعني عند فرويد النشاط اللاواعي الموجه لسلوك الانا .

** الايروس : اله الحب عند اليونان . انظر : جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي** ، ط1 (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1971)ج 1 ، ص 183 .

*** الثاناتوس : يستخدم هذا المصطلح اليوناني ويعني الموت في مقابل الايروس الذي يمثل نزوات الحياة . انظر : جان لابلانش و ج.ب. بونتاليس ، **معجم مصطلحات التحليل النفسي** ، تر. مصطفى حجازي ، ط 1 (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1975) ص 151 .

حيث استبدل فرويد هذا التصور لتصبح هذه الثنائية في فكرة الليبيدو الواحد يسميه نرسيس* لكن بالرغم من هذه التصورات المختلفة في نظريات فرويد ، إلا انه حافظ على البنية الغريزية ، حيث الغريزة عنده اساسها طبيعة الجهاز العقلي الذاتي ، اذ أن الغرائز اذا كان مصدرها العقل فهي محكومة بمبدأ اللذة فإنها تحفظ الحياة لهذا فهي مجرد غريزة حياة، غير ان هذا المفهوم للغريزة لا يزال بعيدا عن مفهوم الايروس ففي البداية الغريزة الجنسية كانت غريزة خاصة اي تقوم على المحافظة على البقاء الذاتي ، ثم اعاد التعبير عنها بان هذه الغرائز من طبيعة جنسية الليبيدو ، فتؤلف جزء من ايروس ، والايروس تحت قناع الموت ، ثم يعيد تفسير الغرائز في إطار غرائز حياة الايروس، وهنا تصبح غريزة الموت و الحياة هما الغريزتين الأساسيتين ، حيث يقول:"إن مبدأ اللذة هو نزعة تخدم وظيفة هادفة الى جعل الجهاز النفسي ، بصورة عامة غير قابل للإثارة ، او على الاقل الى ضبط الاثارة في مستوى ثابت ومنخفض بقدر الإمكان ، فلا يزال يستحيل علينا ان نعمد الى اختيار نهائي بين هذه التصورات... "[1].

لقد اعاد ماركيوز النظر في فرضية فرويد القائلة بان قمع الغرائز شرط أساسي لقيام الحضارة واستمرار الحياة الاجتماعية ، حيث في رأيه انه ليس بالضرورة ان يعاني الانسان من القهر ، حيث تقوم الحضارة العلمية التكنولوجية التي شهدتها المجتمعات الصناعية المتطورة ، وما تعرفه من وفرة الإنتاج ، ويدل هذا على امكانية تفادي قمع الغرائز ، وتحرير الإنسان وبهذا القمع عند ماركيوز ليس طبيعي وإنما هو ظاهرة تاريخية ، اقتضاها السياق الاجتماعي و التاريخي

الذي مر به الإنسان عندما عان من الندرة وقلة الإنتاج وهذا ما تفتقد اليه مجتمعات ما قبل التكنولوجيا المتطورة و المتقدمة ليس لها مبرر لوجود القمع بل

[1]- هربرتماركيوز ، الحب والحضارة ، مصدر سابق ، ص 34 .

هي مجال اوسع لحرية أكثر يقول ماركيوز:"ان مفهوم الحضارة القمعية ليست مفهوما تأمليا مجردا ، اذ ان منجزات الحضارة القائمة قد خلفت الشروط الاولية لزوال القمع تدريجيا "[1].

إن المخيلة والتأمل يلعبان دورا هاما خاصا عندما ترتبط الانحرافات بتصورات الحرية والإرتواء الكامل بصورة فنية داخل المجتمع القمعي ، لنظل في النهاية خاضعين لغريزة الموت(غريزة الإيروس)، فالمهمة الحضارية لليبيدو تجعل الغريزة التهديمية عدوانيه حيث يقول:" إنها حقيقة يمكن ملاحظتها ، وهي أنه بقدر ما يصبح الإنسان أقل عدوانية بالنسبة للخارج ، فإنه يصبح عنيفا ، أي عدوانيا ضد أناه "[2].

المطلب الثاني : أصل الحضارة القمعية

هذا يجعلنا نعود إلى الكبت الغريزي الذي يحصل في مرحلة الطفولة .لأن الأنا الأعلى هو وريث مركب , فهنا مبد الواقع يقوم بدوره في مرحلة الطفولة بصورة صارمة ومتسلطة , فسلوك الراشد ما هو إلا تكرار لتجارب واستجابات الطفولة ,التى تصبح تجارب إنصدامية مع الواقع فهذه التجارب المتسلطة يرمز لها بالأب الابتدائي , والوضع الأوديبي المتطرف وهذه لم تتجاوز ذلك الانا الراشد للشخصية الحضارية ، مازال يحتفظ بالموروث الابتدائي للإنسان ، فيتولد القمع من سلطة الأب الصارمة ، فان هذه الكراهية تولد العصيان والجريمة الجماعية كما يرى فرويد ، فهذا العصيان هو احتجاج ضد الغير .

الحضارة لم تبدأ إلا مع ظهور عشيرة الأخوة المهيمنون على أنفسهم ، وتمارس القمع على الجماعة بهدف حماية مصالحهم المشتركة وهنا يظهر الاكراه

1-Marcuse , Herbert , Eros et civilisation , p 16 .

2- هربرتماركيوز ، الحب والحضارة ، مصدر سابق ، ص 64 .

والعصيان لأنه لم يكن هناك ارتواء للرغبات ، هذا يؤثر على الاسس التى تقوم عليها الحضارة ، لان فرويد يرى أن الشعور بعقدة الذنب لها دور كبير في نمو الحضارة ، بمعنى يجعل بينهما علاقة ، ففي الوقت الذي تنمو فيه الحضارة ينفرز الشعور بالذنب دائما من جديد فهو يكشف عن الشرور الكبرى والعياء العام ، الذي تشكو منه الحضارة المعاصرة يتطابق مع التحليل النظري اي الشرور التى تفرزها الحضارة ، من الحروب والاضطهادات ، المجازر التعصب العنف ، العناء ، البؤس.... يتزايد مثلما تتزايد الثروة والمعرفة ، حتى المعركة بين الايروس وغريزة الموت متواصلة ومستمرة ، وفي هذا النطاق من الخصومة الابدية ضرورية لتشكيل الحضارة ، أي أن يعزز الصراع والشعور بالإدانة والذنب لتطوير الإنسانية ، وهنا فهذه الحضارة قائمة على قمع الغرائز فالحضارة هي تقدم بالعمل ، وبالضبط هي العمل لتحصيل خيرات الاستهلاك وتنميتها[1] لكن فرويد يرى أن الحضارة تستطيع أن توفر تحررا كافيا للغريزة ، التى كانت موجه للكد والعمل ، وهذا ما يظهر في حركات التمرد والثورات ، فكل ثورة عبارة عن جهد واع يهدف إلى تغيير الاوضاع واستبدال الفئات المهيمنة بفئات أخرى حيث كل ثورة حررت قوى سابقة لنبذ التسلط والطغيان ، فكل هذه الثورات كانت مغدورة ، فماركيوز يرى أن الفرد لايمكن ان يحقق التوازن داخل هذه المؤسسات الاجتماعية والثقافية إلا إذا تم تحرير غرائزه ورغباته من سيطرة هذه المؤسسات وخاصة غريزة الليبيدو ، ولا يمكن للإنسان أن يتحرر إلا بتحرير رغباته التى قمعت في ظل مبدأ الواقع حيث يقول :"عندما يتم تحرير الدوافع والغرائز من قبضة وطغيان العقل القمعي ، فان هذه الغرائز ستميل إلى إقامة علاقات وجودية

1- محمد الجوة ، مرجع سابق ، ص 82 .

.

.

حرة ودائمة فينشأ اثر ذلك مبدأ للواقع "[1]، بمعنى مبد اللذة وهو المجال لتحقيق المتعة الجنسية ومجال لغرائز متحررة أكثر ، لكن الحضارة القائمة وما تشهده من تقدم ما يعرف باسم العقلانية التكنولوجية ، بسطت سيطرتها على كل ابعاد الانسان وقلصت رغباته الحيوية وغرائزه ، لهذا أراد ماركيوز إيجاد وسيلة لتحقيق التواز بين مجال الغرائز ومجال العقل أي بين الإيروسواللوغوس ، وتجاوز الفكرة المتعارضة بينهما والمتمثلة في ان الفكرة أسبق ، وان ما له علاقة مع العقل هو فضيلة في المقام الاعلى ، وما له علاقة بالغريزة هو منحط ودنيء .

يقدم ماركيوز نقدا لفكرة السيطرة التي ارتبطت بالعقل من قمع وسيطرة ، لكن لايمكن تجاهل دور العقل في حياة الإنسان مما حققه من رفاهية وسعادة له من خلال ما قدمه من تكنولوجيا ووسائل ، فيدعو هنا ماركيوز لوضع العقل في مكانه المناسب بما يحققه من سعادة للإنسان وليس لقمعه ، علما ان الانسان ليس عقلا فقط وإنما ذات أيضا تسعى لإشباع الغرائز ، ولا يمكن لهذا الاتساق أن يتحقق إلا من خلال تخليص العقلانية التكنولوجية من مسارها المتمثل في السيطرة والصراع الى مبدأ الوجود السلمي[2] .

لهذا تحرر الانسان لابد أن يكون بتحقيق التوازن ، وهذه الشروط ضرورية لتطوير الحضارة التى يتصورها ماركيوز دون قمع ، وتقوم على هذا الاساس بالتوافق والتناسق بين العقل والمطالب الغريزة ،ومن هنا تتحقق الحضارة بمعنى جديد وفي ثوب لائق يخلوا من الصراع والاضطراب ، ليحل فيها السلم والاستقرار ، وتسود فكرة التحرر من السيطرة خاصة فكرة الخيال الفني الذي يشر

1-Marcuse , Herbert , Eros et civilisation , p 86 .

2- مطاع صفدي ، **نقد العقل الغربي** (بيروت : مركز الانماء القومي ، 1990) ص 127 .

اليه ماركيوز باعتباره الوسيلة يتحرر بها الانسان من كل الاوضاع القائمة والواقع المر .

المطب الثالث: دور الخيال ووظيفته في تحرير الانسان

إن الخيال هو المجال الوحيد الذي يتجاوز سيطرة العقل ، و ماركيوز يوليه إهتماما كبيرا لأنه وسيلة للتحرر من الواقع ، ولا يمكن له الخضوع لمبدأ الواقع بقوانينه المفروضة ، بالرغم من أن الحضارة الصناعية تشجع كل ما هو خيال علم يسمح بالاكتشاف والاختراع والإبداع في النظريات العلمية والتقنية ، لكن لم تشجع الخيال الفني لأنها لا تستطيع السيطرة عليه وكبحه ، فهو يفوق كل الحواجز والقوانين العقلية والمنطقية ، ويتمرد على الواقع ونظمه السائدة ، من واقعه المرير والمستبد والظالم ، يقول ماركيوز :"ان القيمة الحقيقية للخيال ليس متعلقة بالماضي فقط ، بل كذلك بالمستقبل ، لما يستدعيه الخيال من صور وخاضه صور الحرية و السعادة ، من طرف مبدأ الواقع...."[1]، فماركيوز يعتبر الخيال وسيلة التحرر من القوانين وهو الصورة التى تعبر عن الحرية والسعادة فهذه التصورات تبقى داخل الجانب اللاواعي للإنسان وتعمل باستمرار الى التحقق لتجاوز سيطرة العقل ، ولكي يتحقق هذا التحرر لابد من التغير النوعي –على حد تعبير ماركيوز –والمتمثل في الانتقال من السيطرة الى التحرر

ولهذا لابد من توجيه التكنولوجيا والحضارة الصناعية وفق اهداف تسعد الانسان وتخدم الانسانية وتحقق لها الحرية والسعادة والرفاهية ، لهذا تفطن ماركيوز الى ضرورة البعد الفني في حضارة المجتمعات المتقدمة ، فهذا البعد الجمالي هو الذي يسمع بالتعبير عن الذاتية التى قللت من شأنها الماركسية الارثوذوكسية

1-Marcuse , Herbert , Eros et civilisation , p 135.

وطلبت من الفنان الوقوف في صف الطبقة البروليتارية في حين أن الذاتية في العمل الفني تكون متحررة ، يقول ماركيوز :"إن الذاتية قد اتخذت اليوم في

الحقبة التوتاليتارية قيمة سياسية ، إذ اصبحت تمثل قوة معارضة لصيرورة الادماج الاجتماعي العدواني والاستغلالي "[1].

تصور ماركيوز أن الحضارة المثالية هي التى تعطي للإنسان حرية لممارسة أبعاده بكل حرية وطلاقة وتدفعه بان يثور على واقع القمع والتقنية التى غربته وهمشته ويسمو بخياله الفني إلى حياة أرفع من الواقع الاجتماعي المر ، الذي تفرضه المجتمعات الصناعية على الانسان ويبث فيه الوعي بان التحرر لا يمكن أن يحدث إلا من خلال تسخير العقلانية التكنولوجية لخدمة الغايات الانسانية وهذا الاخير يدخل في فكرة اليوتوبيا عند ماركيوز .

اليوتوبياالماركيوزية :

اليوتوبيا تمثل مالا يمكنه في الواقع ، ولكي يفصل ماركيوز بين ما هو مستحيل وما هو ممكن،يبحث عن الأسباب المستحيلة في اليوتوبيا* ، أي عن الأسباب التي تجعلها وهما ولا يتحقق في الواقع تتمثل في غياب الشروط الذاتية والموضوعية.

1-الشروط الذاتية : تتمثل في طموح الانسان في بلوغ التحرر الذي يمكنه من تغيير واقعه .

1-Marcuse , Herbert **, La Dimension esthétique**, Trad .Didier Coste. (paris :edition , deseuil, 1979) p 35.

*اليوتوبيا : لفظ يوناني معناه الرغبة في الاصلاح السياسي المثالي الذي لا وجود له في الواقع .
انظر : مراد وهبة ، **المعجم الفلسفي** ، ظ 5 (مصر : دار قباء الحديثة للنشر و التوزيع ، 2007) ص 692 .

2-الشروط الموضوعية : تتلخص في ما بلغته التكنولوجيا من تقدم صناعي ومادي ، يهدف إلى خلق إنسان جديد يحمل معايير فرضتها عليه المجتمعات الصناعية[1] .

لقد أراد ماركيوزلليوتوبيا أن تشتمل على مفاهيم الضرورة والحرية والسعادة ويرى أن النفي الوحيد لهذا الواقع لايمكن أن يتحقق إلا بهاتين الفكرتين ، لأنهما قادرتين على تجاوز قمع الحضارة الصناعية ، لما فيهما من أمل وتفاؤل وشحذ للهمم وبث روح الحب ، فماركيوز يسعى لبلوغ المجتمع المتمثل فيما يلي:

- مجتمع خالي من السيطرة سواء سيطرة الانسان على أخيه أو سيطرة المؤسسات عليه.
- مجتمع يختفي فيه القهر الاضافي ، الذي هو من مقتضيات الادارة المنظمة.
- مجتمع ينجح في تحقيق توان الأوضاع والتعميق من استخدام العلم والتكنولوجيا لخدمة الانسان.
- مجتمع يسعى لتحقيق السعادة ، وهذا لابد من تدمير هذه صورة من أجل رسم صورة جديدة لمجتمع مثالي يجمع بين الإيروس والعقل[2] .

1-Marcuse , Herbert **, La Fin de L'utopie** , TradLilianeroskopf et Nibel. (paris :edition , deseuil, 1968) p 8 .

[2]- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 176 .

وخلاصة ما وصل اليه ماركيوز أن للفن دور ايجابي للتحرر من القمع الذي تمارسه المجتمعات الصناعية التى تجعل الانسان يعاني الاستغلال في واقعه فهو المجال الفسيح للتعبير عن الابداع الفني النافع ، الذي يرفع من قيمة الانسان لأنه المبدع وليس آلة مبرمجة تعمل دون وعي ولهذا فماركيوز يؤسس حضارة قائمة على العمل الجمالي المحرر للغرائز والمحصل للارتواء الذي يمكن الانسان من التكيف مع واقعه ، فلا يبقى يعيش المعاناة والاغتراب والاستلاب لحريته ، فترجع له مكانته وقيمته الانسانية التى تعرضت للقهر من طرف النظام القائم في الحضارة الصناعية المتقدمة .

المبحث الثالث : نقد وتقييم فكر هربرتماركيوز

تتميز ثقافة ماركيوز بالتشعب إلى درجة أن الباحث في فكره لا يستطيع الدخول في تفاصيلها والإحاطة بها ، والوقوف أمام الخطوط العريضة والواسعة في مساحة فكره ، والشيء المفيد في المواضيع التى تطرق لها بطريقة اتسمت بالبراعة والذكاء لذلك يصعب علينا اكتشاف مواطن التناقض في فكره ، مما يصعب علينا تقييمه ومدى مساهمة فلسفته في تشخيص مشاكل الانسان المعاصر .

1-النظرية النقدية:

أو فلسفة الرفض لدى ماركيوز التي تمثل مبدأ نظريته النقدية لكل مقومات المجتمع المعاصر التي لا ترق الى مستوى الفعل السياسي لطابعها السلبي الخالي من كل ايجابية ،إلا ان ماركيوز في نظريته السوسيولوجية وجه نقده فقط للنزعة الوضعية التى لا تسعى الى تغيير العالم ، لذا يجب القضاء عليها واستبدالها بفكر نقدي ثوري لخدمة المجتمع مرتكزا في ذلك على مثالية هيجل[1] لذا نظريته لا تضرب في اعماقها لتحليل الاقتصاد والمجتمع وتفسير كل شيء بغير الاسباب ، وبالتالي فالتحليلات ماركيوز للواقع وقضاياه كانت من وجهة نظر فلسفية تحول دون الفهم المادي له ،إلا انه يزعم ان نظريته النقدية صورة عن الماركسية لا تطوير لها ، وما يمكن تسميتها إلا يسارا هيجليا جديدا لكن بتاتا ليست ماركسية . فقد ظل طول حياته داعيا للفلسفة المثالية ورغم انتقاداته ظل وفيا لها وهنا يبرز التناقض ، فالماركسية تتعارض مع المثالية[2] .

[1]- عبد الباسط عبد المعطي ، مرجع سابق ، ص 399 .
[2]- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 233 .

كما أن ماركيوز يبدو غالبا في صورة المجادل المتعصب اكثر مما يبدو في صورة المجادل المنطقي ، فيقال :"إن ماركيوز أكثر المجادلين غموضا ومعانيه نادرا ما تكون واضحة للقارئ الذي يقرا له ينبغي ان يكون ذا صبر لا حدود له " فالقارئ لماركيوز و هيجل يجب عليه أن يتساهل في المعاني اللغوية لهما ، فهما يعتبران حقلا واسعا يستخدمه فلاسفة التحليل اللغوي ، كما يعتمد على الاطالة في كتاباته ويجعل القارئ يمضي في قراءته دون ان يعرف أو يفهم ما يشير اليه بالضبط ، أنه هائم بالتعقيب وأسلوبه صعب ، لأن نظرته للعالمي معقدة يسودها الغموض والتشاؤم لهذا يحاول أن يفسرها بمقتضى عقل متناسينا بهذا أن هناك جانب تجريبي[1] .

أعتبرت فلسفة ماركيوز مثالية بعيدة عن الواقع وعن مستوى الفهم الحقيقي للجدل، ولم تستطع إستيعاب فلسفة هيجل وماركس ، ففلسفته ارتبطت نوعا ما بالواقع رغم مثاليتها ، ولقد شخص ماركيوز أوضاع عصره خصوصا الانسان الذي يعاني من مظاهر الاستبداد . كما اعتبرت فلسفته ايضا انتقائية عبارة عن خليط من الفلسفات وعلوم شتى من هيجل ، ماركس ، نيتشه ، فرويد هيدغر...، انه اختار من هذه الفلسفات افكارا وأعاد تفسيرها بأسلوبه ليخلص في النهاية إلى فلسفة خاصة تحتضن شتات الفلسفات المتناقضة ، فلم يخفها بل طمسها داخل إطار فلسفي ، فما اكثر المتناقضات في فلسفته ومنهجه الفكري كما يخلب عليها التجريد المطلق على التحليل الواقعي والعامل الذاتي على الموضوعي والعناصر اللاعقلية والخيال على المنهج العقلي ، والرؤية اليوتوبية الفوضوية على العلمية الموضوعية .

[1]- قيس هادي احمد ، مرجع سابق ، ص 55 – 57 .

2-موقفه من الثورة :

إن آراء ماركيوز حول الثورة ابتدأت بنقده لثورة الماركسية بكونها تضمنت شروطا تخرج عن نطاق المخططات الكلاسيكية للنظرية ، ما عدم انكار بدورها لكن ابتعدت عن العصر لذا اعتبرها تقليدية[1] ، إضافة الى فقدانها الفئة التي تقود الثورة باندماجها في النظام وتبخر المشروع الثوري ، الأمر عند ماركيوز يتطلب البحث عن فئة تكون خليفة للطبقة العمالية الثورية للتمرد السياسي لا علاقة لها بالأمور السياسية والفكرية ، غير مندمجة في النظام تكون أهدافها فقط بناء حضارة خالية من القمع ، يعيش فيها الانسان حرا سعيدا ، مبنية على قيم جمالية ، إلا انه اخطأ لان الطبقات العاملة لم تندمج كلية في النظام على غرار اوربا الغربية وأمريكا فهي ما زالت تمثل الرسالة التى حملها التاريخ إياها وهي أحداث الانقلاب ، كما ظهرت طبقات أخرى ولم تعد مسالة الثورة تخص العمال فقط ، بل غدت مسالة عالمية إنسانية ، فخلاص الانسان سيتم في إطار كلي يجمع العمال مع الطلبة ففي حديث ماركيوز عنهم يشير الى تطابقهما في المصالح ثم يتراجع عن كلامه ويناقض ما قاله سابقا ، وهذا الموقف إن دل على شيء فانه يدل أن ماركيوز لم يستطع الكشف عن رأيه بصراحة ، كما أن نظريته الثورية التى يتعمد فيها على الظروف الموضوعية كعوامل وراء قيام الثورة مع وجود الارادة كعامل ذاتي[2] ، فالظروف الذاتية حسية هي ستنتقل الإنسان من النظام الاجتماعي إلى نظام آخر وبالتالي هناك المزيد من الاقتراب في نظريته الثورية وابتعادا عن الواقع الموضوعي ، وعلاقة الطلبة بالعمال لا يجب أن تفهم انها جدلية في اطار الحزب الثوري ، فالخطأ النظري لدى ماركيوز يتمثل في فصله للطبقة المثقفة عن النضال مع الطبقة العاملة

1- هربرتماركيوز ، الإنسان ذو البعد الواحد ، مصدر سابق ، ص 6 .
2- هربرتماركيوز ، الثورة و الثورة المضادة ، مصدر سابق ، ص 48 .

فلا يجب ابعاد العمال عن العمل السياسي ولا يمكن لهم لوحدهم تحقيق ذلك فهم بحاجة للمثقفين والطلاب ، فغياب النظرية العلمية في فكر ماركيوز هو الذي يجعل منه مفكرا مثاليا يحاول القفز فوق الواقع كما أكده الواقع هو فشل الثورة البلشفية وعدم تحقق الثورة الاشتراكية في الإتحاد السوفييتي[1]فماركيوز لم يقدم لنا جوابا عن الثورة الاجتماعية ، ويلجأ للحلول المستحيلة والعدمية ، مما أبقاه بين واقع الثورة وأحلام الفلاسفة .

3-نقد وتقييم آراء ماركيوز في التحرر:

كما ورد عن ماركيوز ان التكنولوجيا يمكن أن تكون سلاحا ذو حدين وتكون محررة للإنسان إذا أحسن استغلالها وتسييرها وستكون بانتصار غرائز الحياة على الغرائز العدوانية ، وتمكنها من إزالة الظلم ، ومن هذا يمكن توجيه النقد له إذ أنه يؤمن بظهور معرفة تكنولوجية محررة للإنسان والواقع يثبت العكس تماما فالتكنولوجيا مازالت مسيطرة وهدا ما هو إلا حلم فيلسوف لا أكثر[2] ، واستنجاده بواقع بديل يحل محل واقعنا مرتكزا على قيم الحب والجمال بإمكانه تحقيق الحرية وهذا لا يقتصر على الفن وحده ، بل يرتبط بالحياة كنمط معاش ، وإحلال القيم الحسية مكان القيم العدوانية لتحقيق الهدوء والسلام ، إلا أنه هل يمكن ان يتحقق في الواقع ؟ لتحقيق هذا لابد أن تصبح الأرض جنة ، فالمجتمع الذي يحلم به هو بمثابة جنة موعودة ، فهذه الأهداف لا يمكن أن تتحقق في المجتمع إلا بتسامي الفرد للحد من النزعة العدوانية ، فدعوة ماركيوز إلى ذلك ماهي إلا إغراء للفرد المتطلع لحياة أسمى فهل يريد بذلك أن يبقي الفرد مسالم ويستمتع بالحب والفن ؟ وهل هذا نمط حياة راقي ؟

1- عبد الباسط عبد المعطي ، مرجع سابق ، ص 421 .

2- هربرتماركيوز ،الثورة و الثورة المضادة ، مصدر سابق ، ص 34 .

ربما يؤدي هذا إلى خلق طموحات الفرد ، فمطامح ماركيوز لن تتحقق إلا بنهاية الحياة ، أن الانسانية تطمح إلى وجود مجتمع وموحد عالمي لا يوجد فيه انقسام عكس ما ذهب إليه ماركيوز الذي يتجه فكره للتعدد ، وصورة الحياد الجديدة التى يرسمها ، هي اسوء مما تبدو فتصوره لانقياد الانسان لرغباته يحقق له السعادة فهذا تصور سخيف لأن الرغبات مجرد وسيلة لتحقيق الذات واستبعاد الآخر الذي لا يسهم في قيام مجتمع متحرر. ولا مفر من الكبت ، وقوله بسيادة مبدأ الحب في المجتمع هو مبد خداع فلا يمكن صوف المجتمع أنه مجتمع سعادة لطغيان الجنس بل مؤداه للتعاسة لا محالة ، والجمال لا بد له من ضوابط لتحقيق الإيجابية ، فمتى كان الجنس والحب غايات عليا للتحرر ، فالإهتمام بالجنس يحمل في طياته القيود التى يعاني منها المجتمع ، فجنة الغد هي جنة جنسية وإذا كان العكس أي تحريم المجتمع للجنس لكان الإنسان غير مبال ومهتم به فالتحرر من الكبت ينجر عنه تضاؤل في الجنس ، القيم التى رسمها ماركيوز بديلة عن القيم السائدة وهي قيم الجمال والفن ، إلا ان الظروف سادة المجتمعات فرضت قيما أخرى ، ولذا تحتم على الإنسان البقاء والعيش ، فالتكنولوجيا صرفت اهتمامه بالقيم ، ورغم تركيز ماركيوز على قيمة الجمال إلا أنها لا تحقق الحرية فما حققه الفن حرية رمزية ، أما وضع الانسان مازالت السيطرة سمته والفن لا يستطيع تحقيق ما يحلم به .

ما غاب عن ماركيوزاهتمامه الطاغي بالقيم الجمالية دون الاخلاق فالمجتمعات المعاصرة بحاجة إلى قيم اخلاقية لا جمالية فقط كما يعتقد ماركيوز [1].

[1]- فؤاد زكريا ، مرجع سابق ، ص 60 .

ما يمكن إستخلاصه عامة أن ماركيوز خلال رسمه لمعالم حضارة جديدة لم يوضح لنا الوسائل التي تحققها ، فالأساس الجديد للتقدم هو التكنولوجيا المادية

السائدة حاليا ، لا الأساس المجرد الذي يحلم به ،فاستمرار التكنولوجيا استمرار للقمع والتحكم في الفرد وسلوكه الذي يجعله دوما ضحية الاغتراب و التشيؤ الآلة التي تقتضي لتكون سبيل الخلاص نوعا من التنظيم الذي سيرافقه القمع ولهم إن توهمنا ان يسود العقل على هذه الآلات فنحن بحاجة للعقل الذي الغاه ماركيوز وأحل مكانه الّإيروس الذي جعل حضارته مبنية على الخيال ومتى كان الخيال سبيلا للتحرر والتغيير ؟[1] .

1- فؤاد زكريا ، مرجع سابق ، 60 .

خاتمة

خاتـــــــــــمة

خلاصة ما توصلنا إليه من خلال البحث ، أن الحرية حلم كل المجتمعات لكنها لم تتحقق ليومنا هذا بالرغم من أن الانسان يعمل على التحرر من كل قيود المؤسسات الاقتصادية و النظم الاجتماعية التي تمارس عليه القمع و السيطرة ، والسبيل الى ذلك يكون بمحاولة الانسان بناء فلسفة رافضة للمعرفة المؤسساتية والتواقة للأفضل بواسطة الابداع العقلي والثورة على واقع الاستبداد والاستغلال وقمع الانسان وحرمانه من ممارسة النقد والمعارضة.

لقد أسس ماركيوز رؤيته لحضارة الإيروس التي تحمل للإنسان وعد الحرية والسعادة و الجمال مستعينا من الميتولوجيا والفلسفة كمرجعية لإحداث علاقة جديدة بين الغرائز والعقل ، يتحقق من خلالها الانسجام بين الحرية الغريزية والنظام العام للحياة الفردية و الجماعية ، وهو ما يكشف عن نزعة ماركيوز الانتقائية التي تجمع بين عناصر تبدو متباعدة ، ليجعل منها رافدا متكاملا يساعد في ابراز حقيقة الانسان كنتيجة تشكيل قصدي تمارسه إرادة هي في تصور هيجل العقل الكلي او الروح الكلية ، وعند ماركس هي الشروط الموضوعية ، وعند نيتشه إرادة القوة ، كما يستعين أيضا بتصورات فرويد لكشف التوجيه القسري للطبيعة الغريزية عند الانسان وروافد اخرى متكاملة .

فالإنسان في المجتمع الصناعي يخضع باستمرار لعمليات تكييف ذهني ومذهبي وتوجيه نحو نمطية البعد الواحد من خلال آليات الحكم والتنظيم ، مختفية وراء حجاب القضاء على القمع والاستغلال فيمارس على اللغة التقليص والاختصار يرافقه نفس الأثر على المستوى الفكري ، والنتيجة تنشيط لوعي الإنسان من خلال تغيير منطلقات تفكيره ، ليتمثل ما هو قائم على أنه الحقيقي ، وقد نبه ماركيوز إلى هذه الطريقة التي تصادر روح النقد والفكر الثوري ، وتجعل من الانسان كائن طيع

مستهلك ، ومستهلك لذاته في الوقت نفسه ، وفي كل ذلك تحتضن وسائل الإعلام مشروع تنشيط الانسان والوعي مع النسق العام لنموذج الحياة الذي يفرضه المجتمع الصناعي المتقدم ، لتجعل الحوار داخل المجتمع حوارا مغلقا لا يقوى على الافلات من مبدأ الواقع ، كما تساهم في نشر ثقافة الاستهلاك وتجسد نظرة احادية البعد وتدمج ما هو متسامي ضمن ما هو إجتماعي ، كما تحتوي الخطاب السياسي لفرض نظام كامل من السيطرة بإرادة شاملة تهيمن على مناحي الحياة .

ان نقد ماركيوز للنظم الاقتصادية والتكنولوجية المعاصرة لا يدل على رفضه للعلم والتكنولوجيا ، وإنما يشدد على ضرورة استخدامهما وتوظيفهما توظيفا عقلانيا باعتبارهما مصدرا التحرر من الاغتراب الذي يعيشه الانسان المعاصر ، والتحرر لا يكون بالتكنولوجيا فقط ، وإنما بالفن ايضا بما يحمله من بعد نقدي وثوري يهدف لبناء حضارة تقوم على الحب والجمال ، كبديل لحضارة يظل الجمال فيها مرتبطا بالمادة و المنفعة والسيطرة العقلية ، دون مراعاة للجانب الحسي والجمالي الذي يسمو بالقيم الانسانية ، ويعيد الاعتبار للذات المتطلعة للحرية ، لكن هده الصورة الخيالية يتجاوزها الواقع وتبقى مجرد فكرة رسمها الفيلسوف هربرتماركيوز وجعلها وسيلة للتحرر من قيود الواقع ونظمه.

فالحضارة في وقتنا الحالي مازالت تقوم على الاستبداد ولا تزال التكنولوجيا موجهة للسيطرة على الانسان وان كانت في الظاهر خلاصه للتحرر ، لهذا يبقى يتطلع لحرية يظنها حقيقية لكن اصلها هو الزيف والخداع.

إن ما يمكن استخلاصه في بحثنا ، ان تصور حضارة مجتمع متقدم يسوده معنى الحرية بعيدا عن القمع والاستغلال هو أمر مستحيل ، وبلوغ الحرية لا يكون برسم صورة خيالية ورفض الواقع ، وإنما بالتسلح بالعلم والمعرفة وتوجيه التكنولوجيا توجيها عقلانيا يتماشى وآفاق الانسانية .

قائمة المصادر والمراجع

الـــــــمصـــــــــادر .

أ- باللـــــــغة العربية .

1 –هربرتماركيوز ، **الإنسان ذو البعد الواحد** ، تر. جورج طرابيشي ط3 بيروت : دار الآداب ،1988 .

2 –هربرتماركيوز ، **الثورة والثورة المضادة** ، تر. جورج طرابيشي ط 1 بيروت : منشورات دار الأدب 1973 .

3 –هربرتماركيوز ، **الحب والحضارة** ، تر. مطاع صفدي ، ط 2 بيروت : دار الآداب للنشر والتوزيع ، 2007 .

4 –هربرتماركيوز ، **العقل والثورة** ، تر. فؤاد زكريا ، ط 2 بيروت : المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، 1979 .

5 –هربرتماركيوز ، **فلسفة الطريق المسدود** ، تر. محمود أمين العالم بيروت : دار الآداب ، 1972 .

6 –هربرتماركيوز ، **نحو التحرر** ، تر. جورج طرابيشي بيروت : دار الآداب ، 1972 .

ب – باللـــــــغة الأجنبية .

1 - Marcuse , Herbert **, Eros et civilisation** ,Contribution a Freud , 1ere , Trad. Neny , et .B, Frank paris : edition , de Minuit, 1993 .

2 - Marcuse , Herbert **, La Fin de L'utopie** , Trad Liliane roskopf et Nibel . paris :edition , de seuil, 1968 .

3 - Marcuse , Herbert **, La Dimension esthétique**, Trad .Didier Coste. (paris :edition , de seuil, 1979 .

المـــــــــــــــــراجع .

1 –انطوان دي كريسبني ، كنيت مينوج ، **أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة** تر. نصار عبد الله ، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1988.

2 –جاك ووديس ، **نظريات حديثة حول الثورة** ، تر. محمد مستجير مصطفى بيروت : دار الفارابي 1978 .

3 – عبد الباسط عبد المعطي ، عادل مختار الهواري ، **في النظرية المعاصرة لعلم الإجتماع** ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر ، 1986 .

4– عبد الفتاح ابراهيم ، **الإجتماعية الماركسية** ، ط1 ، ببيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1980.

5–عبد القادر الطرابلسي ، **المادية التاريخية في مأزق الحتمية** ، ط1 ، تونس الطباعة الحديثة ، 1960.

6 –فؤاد زكريا ، **هربرتماركيوز**، ط 1 ، الإسكندرية : دار الوفاء للطباعة والنشر،2005.

7 –قيس هادي أحمد ، **الإنسان المعاصر عند هربرتماركيوز** ،ط1 بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1980.

8– عبد اللطيف عبادة ، **إجتماعية المعرفة الفلسفية** ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984.

9–محمد الجوة ، **مفهوم القمع عند فرويد وماركيوز**، تر. فتحي الرقيق ط 1 ، بيروت : دار الفارابي ، 1994.

10–محمد حسن محمد ، **النظرية النقدية عند هربرتماركيوز** ، ط2

بيروت : دار التنوير للطباعة والنشر 1993.

11–مطاع صفدي ، **نقد العقل الغربي** ، بيروت : مركز الانماء القومي ، 1990

المعـــــــــــــاجم .

1 - جان لابلانش و ج.ب. بونتاليس ، **معجم مصطلحات التحليل النفسي**

تر. مصطفى حجازي ، ط 1 الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1975.

2 - جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي** ، ط1 ، بيروت : دار الكتاب اللبناني

1971 ،. ج 1 .

3 -مراد وهبة ، **المعجم الفلسفي** ، ط 5 ، مصر: دار قباء الحديثة للنشر و التوزيع 2007

المقـــــــــــالات .

1 – الطيب بوعزة ، **ماركيوز والمجتمع الحداثي** ، مجلة النبأ شهرية ثقافة عامة

العدد 80 ، 2006 .

فهرس المحتـــــويات

البسملة

شكر وعرفان

إهداء

مقدمـة.....أ – د

الفصل الأول: هربرتماركيوز و المجتمع المعاصر

المبحثالأول:ماركيوز ومدرسة فرانكفورت.....6

المطلب الأول : حياة وفكر ماركيوز.....6

المطلب الثاني : ماركيوز وانتمائه لمدرسة فرانكفورت.....10.

المبحث الثاني : تحليل ونقد ماركيوز للمجتمع المعاصر.....12

المطلب الاول : مظاهر السيطرة على الانسان المعاصر.....12

المطلب الثاني : الأسس التي ترتكز عليها الحضارة.....18

الفصل الثاني : الثورة سبيل التحرر

المبحث الأول :نقد ماركيوز للثورة التقليدية.....20

المطلب الأول : النظرية الماركسية.....23

المطلب الثاني : نقد ماركيوز لنظرية الثورة الماركسية.....23

المبحث الثاني :إستراتيجية الثورة و قوى التحرر عند ماركيوز.....26

المطلب الاول : الإستراتيجية الثورية.....27

المطلب الثاني : قوى التحرر.....28

الفصل الثالث : يوتوبيا التحرر عند ماركيوز

المبحث الاول :التحرر بالتكنولوجيا و الفن.....33

المطلب الاول : التحرر بالتكنولوجيا.....34

المطلب الثاني : التحرر بالفن.....34

المبحث الثاني :حضارة الايروس و الثاناتوس عند ماركيوز.....38

المطلب الأول : أصل القمع عند الفرد 38

المطلب الثاني : أصل الحضارة القمعية.....40

المطلب الثالث : دور الخيال ووظيفته في تحرر الانسان.....43

المبحث الثالث : نقد وتقييم فكر هربرت ماركيوز.....47

خاتمة 54

قائمة المصادر و المراجع 58

فهرس المحتويات 64

ملخــص الدراســـــة

حاولنا في هذه الدراسة الموجزة التطرق الى قضية إنسانية مهمة ، اهتم بها الفلاسفة منذ القدم

ولا زالت محل اهتمامهم الى حد وقتنا الراهن ، ألا وهي "مسالة التحرر".

لذلك قمنا باختيار شخصية معاصرة وهو الفيلسوف الألماني " هربرتماركيوز " ، فوقفنا بالدراسة والتحليل لأفكاره حول نظرته للمجتمع الصناعي المعاصر ومعاناة الانسان فيه من القمع والسيطرة ، ونقده لفكرة الثورة الماركسية واقتراح ثورة جديدة يقودها المثقفون بدل طبقة العمال ، وتصوره لحضارة جديدة تقوم على الخيال المتجاوز للواقع المر للإنسان استنادا على دور البعد الفني و الجمالي في تحرر الإنسان ، وبعد التحليل قمنا بنقد هذه الافكار واستخلصنا في الاخير ان الحرية في مجتمعنا المعاصر لا يمكن ان تتحقق بالخيال الرافض للواقع ، وإنما بالتسلح بالعلم وتوجيه التكنولوجيا لخدمة الانسانية .

الكلمات المفتاحية : التحرر ، هربرت ماركيوز ، النقد ، الثورة ، الماركسية ، الحضارة التكنولوجيا .

summary

In this brief study, we try to treat an important human subject which has been already interested by philosophers and still until now; it is "the subject of liberation". Thus we choose a present character who is theGerman philosopher "HERBERT MARKIOUZ". We study and analyze his thoughts and opinions about modern industrial society and the human suffering of slavery. Also he criticizes the Marxism revolution and suggests a new one leaded by educated people instead of workers. Then he imagines a new civilization depend on fiction exceeds the ugly fact. After that we criticize his thoughts and conclude that freedom can't be realized by fiction but by science and technology

Key words: Liberation, Herbert Markiouz,Criticize, Revolution,Marxism, Civilization,Technolog